الحبيب بولعراس

وهبة قوبة
1993

مراد الثالث

الطبعة الثامنة

الدار التونسية للنشر

ISBN 9973-12-081-7

© جميع الحقوق محفوظة للدار التونسية للنشر

أكتوبر 1991

الإهداء

إلى

علي بن عيّاد

الممثل البارع

الذي كتبت له هذه المسرحية

فمنحها من وجدانه وعقله

وأعصابه ما أجرى في فصولها

روعة الحياة

ح - ب

اتبعنا في نشر المسرحية :

١) النص النهائي الذي ضبط بعد التعديلات التي ادخلها عليها المؤلف في صائفة عام ١٩٦٦ إثر عرضها بتونس وبالمسرح الايمي في الحمامات اجويلية ١٩٦٦) وبمهرجان المغرب العربي (المنستير أوت ١٩٦٦)

٢) ملاحظات الاخراج على نحو ما ضبطه المؤلف وعدله المخرج علي بن عياد ولا سيما في المشهد الأخير حيث كان مقتل مراد بطلقة بارود فاختار المخرج ضربة خنجر ثم عدلها بنفسه ضربتين .

إلى القارئ

مراد الثالث آخر البايات المراديين ، حكم تونس من سنة 1699 الى سنة 1702 ، وقتله بوادى زرقة على طريق باجة مساعده ابراهيم الشريف الباش حانبة (قائد الخيالة الترك) . وكان هذا القتل تنفيذا لامر السلطان مصطفى الثاني الذي سلم ابراهيم الشريف فرمان صار بمقتضاه حاكم البلاد خلفا لمراد . واستطاع الضباط الترك ان يفتكوا مقاليد السلطة ويقطعوا دابر المراديين . الا ان حكم ابراهيم الشريف لم يعمر طويلا ولم يلبث سكان تونس ان ولوا عليهم سنة 1705 حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية التي انقرضت باعلان الجمهورية سنة 1957 .

وكان مراد عنيفا كأشد ما يكون العنف ، عاش قبل ان يعتلي العرش الخمس سنوات الاخيرة من الحرب الأهلية الطويلة التي دارت رحاها بين أبيه علي باي وعمه محمد باي (1675-1686) ثم كفله بعد مقتل أبيه وعمره عندئذ خمس سنوات عمه محمد مدة عشر سنوات وبعده عمه رمضان الذي قرر تحت تأثير نديمه مزهود المغنى سمل عينى الامير الشاب .

ولكن مراد استطاع ان يفر من سوسة حيث كان مسجونا والتحق بجبل وسلات ــ حصن كل الثائرين في ذلك العهد ــ وتمكن في آخر الامر من الوصول الى القيروان حيث نودي بايا . وبعد ذلك تحول الى تونس وتم تنصيبه على العرش سنة 1699 وسنه ثماني عشرة سنة ، وبدأ الانتقام ...

لكن انتقامه سرعان ما تحول الى رغبة جامحة في اراقة الدماء لم يستطع احد ان يقف في وجهها .

هو الجنون الذي لم يستطع المجتمع المتعفن في ذلك العهد ان يعالجه ، هي مأساة رجل لم يستطع ان ينجو بنفسه من خضم زمنه. ان حساسية مراد التي ادمتها الفواجع التي عاشها منذ نعومة اظفاره جعلته يجابه مصيره وحده فلم يستطع ان ينجو بنفسه من الهوة التي تردى فيها في نهاية الأمر ، فالمسرحية من مشهدها الأول الى مشهدها الأخير هي سلسلة من المحاولات المتناقضة التي لم تفلح في اقامة صرح نظام جديد يضمن للبلاد الاستقرار والطمأنينة ...

وضاع غرض العدل في جنون الثأر وتلبست مسؤولية الاجرام بمسؤولية انقاذ نظام لم يصمد على أية حال بعد هذا الزلزال . فكل احداث هذه القصة المسرحية حينئذ مستمدة من سجلات التاريخ ، ولئن سمح المؤلف لنفسه بالتصرف فيها حسبما اوحاه تصوره المسرحي، فانما كان ذلك في طريقة ربط تلك الاحداث بعضها ببعض او في ابراز بعض شخصيات المأساة وتحديد موقفها بوضوح او في افتراض وجودها زمان الفاجعة (مثل ابنة عم مراد التي اشير اليها في التاريخ دون ذكر اسمها او ابنة خاله التي افترض المؤلف وجودها افتراضا)، على ان «تأويل» المؤلف للتاريخ المعروف ليس بعيدا عن الحقيقة وقد عثر على أدلة كافية في مراسلات قناصل

الدول الأوروبية المعاصرين لمراد الثالث تبرر بتأكيد ما ذهب اليه في رسم شخصية مراد ثم شخصية ابراهيم الشريف .

والمهم على أية حال في هذه المسرحية ليس الواقع التاريخي ــ وان كان المؤلف التزم باحترامه قدر الامكان ــ انما المهم هو هذا الصراع الذي تراءى له من وراء الواقع التاريخي بين رغبة في الاقتصاص تبدو مشروعة بالقياس الى ما تعرض له مراد من تنكيل وتعذيب ، وبين مجتمع أو نظام حكم مهدد بالانهيار اذا ترك مراد يسير الى غاية الشوط . ذلك ان مراد لم يكن ضحية شخص بل ضحية أسلوب في الحكم ونسق للحياة، ولا مناص من أن يقوده الثأر الى طرح موضوع كيان ذلك الحكم نفسه .

وقد يكون ادرك ذلك لكن كتب التاريخ لا تسجل لنا أنه تصور حقا مثال نقمته بل تعطينا عنه صورة أمير انساق في آخر أيامه الى نمط عيش أمراء عصره : لهو ومجون وحروب وغزوات ...

ولعله بذلك كتب لنفسه القتل والاندثار ، فهو ما كان ليلفت النظر بعيشه على منوال الامراء ، ولا حتى ببطشه الذي سبقه اليه غيره ، بل لفت النظر بعنف صراعه ضد مجتمع عصره ، وربما كان يقتعد مكانة بارزة في التاريخ لو عرف كيف يقود صراعه الى النهاية المنطقية .

تلك هي الاهمية الوحيدة للرجل في التاريخ ، وتلك هي الوجهة التي اراد المؤلف أن يعالج منها موضوعه .

ح ــ ب

علامات على الطريق

الاعراض : اسم جامع لقبائل منطقة قابس بجنوب تونس .
آغه أو آغا : الاخ الأكبر ، لقب شرفي تركي أصبح متصلا برتبة القيادة نحو آغة القصبة ، آغة الديوان .
آغه محمد صبنيول : آغة الكاف احتج لمقتل صديقه آغه باجة .
الانكشارية : او الينى تشرى (الجند الجديد) .
باب السويقة : ضاحية ثم حي لمدينة تونس .
ناصر محمد باي : ضد أخيه علي باي والد مراد الثالث .
باردو : قصر الملك في ضاحية تونس يرجع بناؤه الى القرن الرابع عشر وهو الآن متحف للآثار على ميلين من مدينة تونس القديمة .
باش كاتب : وزير الباي ، أو الوزير الأكبر .
باله : اسم سيف مراد الثالث ولعله لفظ تركي بمعنى ممتاز او مستمد من اللفظ التونسي (باله) .
باي : النطق التونسي لرتبة بك التركية ، وهو اللقب الذي احتفظ به الامراء المراديون ثم الحسينيون حتى عام 1957 .
برمقلي : شباك مؤلف من اخشاب متقاطعة بمسافة بوصه (برمق) .
بلوك باشي (يوزباشي) : رتبة عسكرية في فرق الانكشارية عوضت بيوزباشي .

جلاص : عروش بادية القيروان .

حامبه ، حانبه ج حوانب : نخبة من الفرسان اختارها الباي لحراسته وعين عليها آغه من الآغوات رئيسا (باش حامبه).

الحرملك : مقام النساء في القصور التركية .

خزندار : وزير المال .

خليل باي طرابلس : استعان به مراد ضد باي قسنطينة وجازاه بنهب مدينة القيروان .

خوجة : كاتب .

داي : اي الخال ، لقب الضباط الاتراك الذين ينتخبهم الانكشارية لقيادتهم والذين يؤلفون ديوان العسكر .

دبّوزة : التّعبير التّونسي للقارورة.

دريد : قبيلة من أشهر القبائل التي كان يستعين بها البايات في الحرب او لحفظ النظام .

الدفتر (الزمام الأحمر) : سجل مذكور في التاريخ اثبتت به وقائع تونس .

رايس ، رياس البحار : ضباط القراصنة الذين كانت مراسيهم على شواطىء تونس والجزائر .

رمضان باي : عم مراد كان ولوعا بالموسيقى سلّم مقاليد الحكم الى نديمه المغنى مزهود .

أصحاب رمضان باي : مزهود ــ الداي محمد خوجة ــ سليمان ابن سليمان ــ مصطفى عبد النبي ــ على بن خلف ــ أبو الغيث البكري ...

زواوة : جند مرتزقة كان يستعملهم البايات للغزوات والجباية .

سباهية : لفظ تركي صار في تونس صبائحية معناه الفرسان.

سنان باشا : فاتح تونس ومحررها من الاحتلال الاسباني 1575 .

سوسة : عاصمة منطقة الساحل هرب منها مراد الثالث ثم عاد اليها ليحاصر عمه رمضان فظفر به وقتله ثم قطع رأسه وألقى بجثته في البحر .

عثمان داي : حكم تونس من سنة 1686 واستعان بمراد باي الأول .

عروش ــ عرش ، يقابله في الشرق : عشائر ، عشيرة .

عشى مصطفى : باي الجزائر الذي حاربه مراد الثالث مرارا.

على باي : والد مراد باي الثالث وابن مراد باي الثاني .

قاضي عسكر : القاضي الحنفي المتولي شؤون الانكشارية .

القشلاق : لفظ تركي يعني الثكنة،صار في التعبير التونسي (قشلة) .

الكاهية : نائب الباي بعاصمة تونس باعتبار الباي مستقرا في باردو .

للّا : لقب التشريف للمرأة : سيدتي . يقابله في الشرق : هانم وخانوم

مخزن : الرديف او الاحتياطي .

المراديون : أسرة مماليك كورسيكية الاصل حكمت تونس من 1630 الى 1702 .

المزارقية : جند مشاة اشتهروا بهراوتهم : المزراق .

مولاي اسماعيل : سلطان المغرب الاقصى المعاصر لمراد الثالث .

وسلات : منطقة جبلية شمالي القيروان وملجأ الثائرين في القرون الثلاث الاخيرة .

وجق : لفظ تركي للدلالة على كتيبة الانكشارية ومعناه الاصلي النار او الموقد الذي يجتمع حوله الجند في معسكرهم .

* * *

الريجي العام : عبد المجيد الاكحل .

الاثاث والمناظر : مصنع الفرقة (مخلوف ــ وبالعيد والدرناوي) .

الاسلحة : يوسف ايوب .

الاشراف على جهاز الانارة : الطاهر المؤدب .

شخصيات المسرحية والممثلون الذين افتتحوا عرضها يوم 5 ماي 1966 حسب الظهور على المسرح :

وصيفة امينة : زكية الخلصي .

احدب القصر : المولدي الخليفي .

الخادم : محمد المورالي .

سعد كيتار : عبد الرزاق الزعزاع .

امينة : نرجس عطية .

فاطمة : وفاء سالم .
وصيفة فاطمة : أنيسة لطفي .
باش شاطر : محمد بالأسود .
مراد الثالث :على بن عياد .
الخادم على الصوفى : عبد المجيد الاكحل .
الاغا ابراهيم الشريف : محمد الرشيد قاره .
الداي — حسين بن علي : أحمد معاوية .
الداي محمد بخوجة الأصفر : البشير الدريسي .
الآغة محمد أغلو : الحبيب الشعري.

حمودة قاره باطاق : محسن بن عبد الله .
الداي مصطفى قاره : محمد كوكا .
اغه القصبة : محمد بن سليمان .
اغه ديوان عسكر : عمر زويتن .
قاضي عسكر : الطيب النجويلي .
كبير العلماء : محيى الدين مراد .
باش مفتى : رمضان شطا .
المفتى المالكي : المختار القروي .
القاضي الحنفي : محمد الحبيب البرادعي .
أبو الحسن السهيلي : محمد بن التيجاني .
ابو القاسم الحنفي : عبد الحفيظ السمالوسي .
كاهية دار الجلد : محمد المنجي التونسي .
المفتى محمد فتاتة : عز الدين سليم .
الطبيب : على الورغي .
خادمة : سلوى عبدو .
القاضي المالكي : الشريف العبيدي .

القـــسم الأول

المنظر الأول : قصر باردو ، المقر الرسمي للأمراء الحاكمين في تونس ، من الأسرة المرادية تدور الأحداث في احدى قاعات القصر المبنية على الطراز التقليدي بتونس اي مقصورتان يتوسطهما قبو به اريكة وزرابي .

الوقت نهار .

المناسبة : يوم وصول مراد ، اخر امراء الدولة المرادية ، الى تونس قادما من القيروان حيث كانت له البيعة الأولى بعد مقتل عمه رمضان في معركة سوسة . مراد بعث رسالة وتهيأت الاحتفالات لاستقباله وخرجت مدينة تونس لمبايعته طوال المنظر الأول يسمع ضجيج خارج القاعة يوحي بوجود جمهور غفير خارج القصر، وجمهرة من كبار الانكشارية والعلماء والاعيان . خارج القاعة طاقم موسيقى عسكري يعزف الحان الانكشارية التقليدية .

الموقف الأول : يمر بعض الخدم بالقاعة في سرعة لتفقد تنجيدها وترتيب اثاثها وزخرفها وازالة الغبار من بعضها ، احد الخدم ينظر ذات اليمين وذات الشمال ويسرق تحفة ويهم بالخروج واذا سعد خادم مراد بياغته :

سعـــــــد هاها ... يا كلب ... ماذا تفعل هنا ؟؟

الخـــــادم سيدي ... أخي ... شيء لا شيء ... انظف القاعة ... كنت أنظف القاعة قبل وصول سيدنا مراد ... أبقاه الله ... وحفظه ...

سعـــــد تنظف القاعة ؟ مِمَّ تنظف القاعة ؟ ... ماذا بيدك ؟

الخـــــادم د .. د ... دبوزه ...

سعـــــد أهذا المرش من الزجاج الفاخر هو الذي تسميه «دبوزة» ؟ أحمار أنت أم سارق ؟ قل لي ... حمار ؟ أم سارق ؟

الخـــــادم (يعيد التحفة الى المكان الذي أخذها منه ويجيب في حرج) حما .. سا .. لا .. لاحما .. لا سا .. لا حمار ولا سارق ... كنت اريد ان أملأها بماء الزهر .. ماء الورد ... وكفى . كفى .. (ينفض يديه في حركة المتبرىء من ذنب) .

سعـــــد (يشد الخادم شدا قويا من أذنه) اخرج . اخرج يا كلب ... أنت تود أن تتلاعب باملاك سيدنا قبل وصوله الى قصره ... اخرج والا ...

(يخرج سعد وهو يقود الخادم من أذنه. تدخل فتاتان: أمينة وفاطمة وتواصلان حديثا بدأ خارج القاعة) .

أمينـــــة وهذه قاعة من القاعات التي كان أبي يجلس فيها للحكم أحيانا .

فاطمـــــة ما كنت أظن ان للقصر هذه العظمة وهذا الاتساع وهذه الاقبية .

أمينـــــة (تنظر الى فاطمة وكأنها تقيس شخصيتها بمعيار دقيق بينما تتفرس فاطمة في ماحوته القاعة) ان هذا اليوم لاسعد يوم في حياتي منذ مات أبي ... محمد باي ... حقا ما كنت أظن مراد بالغ العرش وهو في عنفوان الشباب ..

فاطمـــــة (على الفطرة) وأنا ... لو تدرين يا أمينة ... هذا اسعد يوم أشهده منذ واقعة الكاف المشؤومة ..

أمينـــــة (باحتراز) هل تقصدين تلك الواقعة التي هزم فيها جيش أبي جماعة عمي علي باي ؟؟

فاطمـــــة اني لم أر مراد منذ تلك الأيام لأنه بعد انهزام أبيه بقى هنا في كفالة أبيك .

أمينـــــة لكنك رأيته بعد هروبه من سوسة والتجائه الى جبل وسلات ؟

فاطمـــــة لا ... بعث يطلبني أنا وأمي حقا .. ولكننا وصلنا بعد خروجه من جبل وسلات ونزوله بالقيروان ... فلما علمنا ان البيعة تمت له اختار قائد الفرسان الذين صاحبونا ان نسرع الى تونس لنصل قبله ... وحسنا فعلنا .

أمينـــــة أنت اذن لم تلتقي به منذ أعوام ... هل انت واثقة انه سيعرف حالا من أنت ؟

فاطمـــــة (حالمة) لقد كانت بيننا أفراح الطفولة والصبا .. ذكريات السعادة لا تمحوها العوادى (تثوب من حلمها) وأنت ؟

أمينـــــة ان مراد أخي أو يكاد ... لأن أبي لم يرزق ذكرا الا في آخر عمره وكان يحب مراد كما لو كان ابنه الأكبر .

فاطمـــــة كلامك يزيل عني الهواجس .. فقد وسوس لي الشيطان عندما رَأيتك أن في الأمر ما فيه بينك وبين مراد .

أمينـــــة ها. ها. ها .. أتنوين التزوج بمراد ؟؟

فاطمـــــة لم أقل هذا ... كلا ... لم أقل ...

أمينـــــة انظريني فاطمة ... انني لم أقل اني لن أتزوج من مراد ... إنه على كل حال آبن عمي .

فاطمـــــة وابن عمتي ...

أمينـــــة لن أكون لك عدوة .

فاطمـــــة ولا أنا ...

أمينـــــة فليكن اذن بالقرعة بيننا ..

فاطمـــــة بمشيئة الله أحسن ...

أمينـــــة أو لنتزوجه ... أنا ... وأنت ...

فاطمـــــة اذا كنت لا ترغبين ان تعاديني ... كيف تكونين لي ضرة ؟ (سعد يرجع من حيث خرج ... يكتشف الفتاتين فلا يتجاسر على مقاطعتهما) .

سعـــــد أحم .. أحم .. أحم ..

أمينـــــة (تلتفت في إباء) سعد .. ؟

سعـــــد يجثو على ركبتيه ويقبل يد أمينة) للا أمينة ... أمرك ...

أمينـــــة ماذا تفعل هنا ؟

سعـــــد ان سيدنا واصل بعد لحظات .

أمينـــــة الى هذه القاعة ؟

سعـــــد سيكون موكب البيعة هنا .

أمينـــــة تعالى فاطمة ... سنعود الى الحرملك ...

سعـــــد حسنا تفعلان ... اني أسمع الضجيج يتصاعد مؤذنا بوصول الركب (تخرج أمينة وفاطمة وهما تتجاذبان الحديث بينما يتصاعد دوي الركب فيغطي كلامهما) .

فاطمـــــة اذا قدر الله ان يختار واحدة منا فلتكن للأخرى عونا وملجأ .

أمينـــــة ونبقى هكذا صديقتين ... على الدوام .

فاطمـــــة على الدوام .

أمينـــــة آه .. ها .. ها .. ها ..

فاطمـــــة هـــا .. هـــا .. هـــا ..

الموقف الثاني : أصوات ، خيول .. عربة تتوقف .. موسيقى الانكشارية تعزف الحانها التقليدية .. يدخل السياقة ويقفون الى **جانب اريكة الحكم ... حرس برتبة بلوكباشية (يوزباشية) يقفون عند أبواب القاعة ... سعد يقترب من الباب الذي سيدخل منه سيده ... يدخل بالترتيب حامل المبخره مسرعا ناشرا الطيب بين أرجاء القاعة**

يليه حامل الطوق ثم مراد محاطا بخادمه علي ، والآغه محمد اغلو قائد السباهية الاتراك «باش حامبه»(1)

سعد الحمد لله أن رأينا هذا النهار السعيد ... حفظ الله سيدنا مراد ... نصر الله سيدنا (يردد الجمهور خارج القاعة دعوات سعد وكذلك السياقة والحرس وكل الوافدين مع مراد) .

أصوات الله ينصر سيدنا .

سعد الله يبارك في عمر سيدنا .

أصوات الله يبارك في عمر سيدنا .

سعد الله ينصر سيدنا .

أصوات الله ينصر سيدنا (مراد يخلع عن كتفيه برنس السفر ويرتمي على الأريكة وقد بدأ عليه الاجهاد) .

مراد يا له من تعب ... يا له من تعب وسباق ... كل يوم ، خيول تجري وتركض ... حموده ... حموده ... أين حموده ... (يردد سعد والاغه محمد أغلو والأصوات خارج القاعة نداء مراد ويدخل حمودة مسرعا فيقبل يد مراد) .

حموده سيدي .. هنا .. انا هنا .. سيدي أسأل الله

(1) هذا هو الترتيب الرسمي لم نستثن منه الا «الداى» رئيس الدايات ، لانه كان ضد مراد حينئذ ولم نجد من المنطق ان نحضره هذا الحفل . بقي ان مخرج التمثيلية يستطيع اذا اراد بهجة الدخول ان يبقى كذلك السياقة والحرس يدخلون مع مراد لزيادة الروعة .

أن يكون الحكم مباركا لك .. ولنا .. ولجميع المسلمين ..

أصوات آمين .. آمين .. آمين ...

مراد حموده .. أنت أخي .. أنت ، أين كنت حين أرادوا سمل عيني ؟ .

حموده لم اسمع بالمصاب الا بعد ان حل بك .. وبنا

مراد تعبت .. تعبت قبل أن أبدأ الحكم .. لماذا هذه الفواجع .. لماذا هذه المصائب ؟؟ أريد أن استريح ...

حموده لا يجوز سيدي .. اليوم يوم البيعة .. لا بد من قبول رجال الشرع ...

مراد الشرع ...

حموده وديوان العسكر ...

مراد الديوان .

حموده وأعيان البلاد .

مراد الأعيان .

حموده وبعد .. لك أن تستريح سيدي ما شئت .

مراد لكن عيني ... ان الألم يزداد كل لحظة .

حموده سنطوي هذا الموكب بسرعة (يصفق ويلتفت الى سعد) قل للجماعة لقد بدأت البيعة .

سعد (هاتفا) الله ينصر سيدنا (يجيبه من الخارج هتاف مماثل) بيعة سيدنا مراد ... الله ينصر سيدنا

(يدخل وفد من اعيان الجند مؤلف من الآغه ابراهيم الشريف ووراءه الداي محمد خوجة الاصفر وآغه حسين بن على ووراءه الداي مصطفى قاره ، ويحمل الوفد قفطان الامارة ويسلمه الى مراد فيرتدي القفطان بينما تتعالى الهتافات والحان الموسيقي ، ويتقدم الحاضرون لتقبيل يد مراد بينما يتراجع الدايات الأربعة الى الباب لانتظار دورهم ... سعد يتجه الى مدخل القاعة دون أن يتوقف عن الهتاف) .

سعـــــد الله ينصر سيدنا ... ديوان عسكر وقاضي عسكر[2] (يدخل قاضي العسكر الاتراك ووراءه جمع من الدايات والاغاوات وهم على الترتيب آغه ديوان العسكر وآغه القصبة وينضم اليهم الآغه ابراهيم الشريف والآغه حسين بن على والداي مصطفى قاره والداي محمد خوجة الأصفر[3]) الله ينصر سيدنا رجال الشرع والافتاء .. الله ينصر دين الاسلام (يدخل المجلس الشرعي يقوده كبيرالعلماء ويضم بالترتيب باش مفتى حنفى المفتى المالكي القاضي الحنفي والقاضي المالكي) وفد الأعيان (يدخل أبو الحسن السهيلي وأبو القاسم

(2) على طريقة النطق التركية .

(3) لا حاجة الى احضار غيرهم من جند الترك ، الا اذا توافر عدد الممثلين فمن الجائز تاريخا ان يضاف اليهم عدد من الضباط بلوكباشية ويوزباشية او الحرس .

الحنفي ، يدخل هؤلاء جميعا ويتجهون الى مراد ويقبلون يده . وعندما يصل دور العلماء يقف لهم مراد مظهرا سخرية وغضبا ثم ما ان ينتهي الجميع من معانقته حتى يشخص سائلا) :

مـــــراد أين الشيخ المفتى محمد فتاته ؟ (تتناقل الأصوات هذا السؤال بالهتاف من طرف سعد وحموده وبعض الدايات وبالهمهمة والحرج من طرف العلماء . ويدخل شيخ وقور يرتدي لباس الافتاء فيتقدم اليه مراد ويقبله ويعانقه)

أنفعنا بدعاك .. سيدي الشيخ .. جازاك الله خيرا .

فتاتـــــه الله ينصرك .. الله ينصرك .. الله ينصرك . وقاك الله شر الشياطين اذا وسوست .. (يطرق العلماء في حرج وتضايق) .

الحـــاضرون آمين .

فتاتـــــه وشر المكائد اذا دبرت .. وشر الاحقاد اذا تجمعت .. وجعل البركة في عهدك تشمل رعاياك .. والطمأنينة تنتشر من محياك .. والحق يعلو بسيفك الفتاك .. والظلم يدحر صحبه للهلاك .. لازالت عين الله ترعاك وترعى من يلوذ بحماك ... الله ينصرك ...

مـــــراد ثأرك عندي سيدي المفتى .

فتاتـــــه ثأري بيد الله وقد استجاب الله لاستجارتي

بالرسول ... الحمد لله .. الحمد لله .

مـــــراد لقد استجاب الله لاستجارتك على يدي ، والحمد لله .. وقد اقسمت أن أشهر أمضى سيف لقطع دابر الفساد . سيكون سيف حق سيف باله .

كبير العلمـاء (يتقدم باسم المجلس الشرعي) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه الصادقين .

الحـــاضرون آمين .

كبير العلمـاء الحمد لله في خلقه وسننه .. وفي احكامه ومننه .. جعل فوق الأرض ائمة يحكمون بالعدل والقسطاس . لرعاية الدين والحرمات وحقوق الناس .. قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ..

مـــــراد فأطعتم كل أولى الأمر وكل من هب ودب لولاية الامر .

كبير العلمـاء ها هو اليوم أمير البلاد مراد . ابن الأمراء الكرام . من بيت بني مراد الفخام . أصحاب العز والقدر والاحترام . المختصين بعناية الملك الأعلى العلام .

مـــــراد الله .. الله ...

كبير العلمـاء أميرنا مراد .. ابن الماجد الباي علي رحمه الله

مـــــراد لم تكن لكم معرفة بمجده حين قاطعه أهل باب السويقة وتنكروا له .

كبير العلمـاء نصره الله نصرة الحق المبين على الباطل يوم الدين .

الحـــاضرون آمين .

كبير العلمـاء وجعل ذكره بين الانام محمودا ، والخير على يديه مشهودا .

الحـــاضرون آمين .

كبير العلمـاء وأطال عمره ليرعى الدين والبلاد ، وينشر العدل والخير بين العباد .

الحـــاضرون آمين .

كبير العلمـاء وعزز به الدين ورجاله .

الحـــاضرون آمين .

كبير العلمـاء والملك وآله .

الحـــاضرون آمين .

كبير العلمـاء وجعل جنده منصورا .

الحـــاضرون آمين .

كبير العلمـاء وأعلامه منشورة .

الحـــاضرون آمين .

كبير العلمـاء انك السميع المجيب . يا رب السموات والأرض يا أعلم العالمين بما يظهر على الألسن ويخفى ، يا أرحم الراحمين .

الحاضرون آمين .

مراد آمين .. آمين .. آمين ... دائما آمين .. لى كل شيء آمين .. آمين لحفظ رجال الدين .. آمين للعسكر المنصورين .. آمين لأهل الملك الميامين .. آمين أيضا لفقء العينين ... لو قال لكم حفظ الله رمضان باي لقلتم آمين .. وقد قلتم فعلا آمين يوم جلس رمضان باي هنا .. .. وقلتم آمين يوم استشار حاشيته لفقء عيني .. تقولون على كل شيء آمين ما دامت العساكر منصورة وحرمة رجال الدين موفورة وحاشية الباي مشكورة . تقولون آمين على كل شيء ما دامت ثلاث فئات لا بأس عليها : الحاشية ورجال الدين والعسكر .. والبقية ؟

الحاضرون البقية ؟ ..

مراد نعم البقية .. عيناي .. مثلا ..

الحاضرون الحق معه .

مراد طيب انتهى الموكب اليوم ..... لن أقع في شراككم .. لن أقع فريسة دجلكم وركوعكم وسجودكم . لقد دفعت نور عيني ثمنا لنفاقكم وطاعتكم لرمضان باي .. تحبون الطاعة والخنوع وطأطأة الرؤوس .. اذن اشهدوا مثال جبنكم .. اسجدوا الآن لا تكريما ولا بيعة انما رضوخا لارادتي أنا مراد ... سيدكم

(حركة تململ بين الحاضرين .. ينظر اليهم مراد في حدة فيبدأ السيافة وحامل المبخرة وسعد وعلي والحرس بالسجود ويتبعهم حموده والحنفي ثم رويدا رويدا محمد خوجة الأصفر ومصطفى قاره[4] ولا يسجد قاضى العسكر وآغة الديوان وآغة القصبة والآعة محمد آغلو وسائر العلماء والسهيلي وابراهيم الشريف ، ويبقى حسين بن علي يتردد) .

مراد (يوجه الخطاب الى العلماء) لماذا لم تسجد أنت ؟ وأنت ؟ وأنت ؟

قاض سيدنا أبقاك الله كنت تعلن انك لا تحب الركوع والسجود .

مراد عليكم بالسجود وعلي أنا أن أكشف النفاق . اسجدوا .

(يسجد عندئذ حسين بن علي ولا يسجد أحد من العلماء فيمسك مراد بعنف القاضى الذي كان يخاطبه ويضطره الى الركوع . حركة اندهاش في صفوف العلماء والحاشية يرفع بها الساجدون رؤوسهم من الأرض) سيماهم في وجوههم من أثر السجود . حموده (ينهض ويسرع الى مراد) .

حموده نعم سيدي .

مراد اني أسائل نفسي عن الرجل الذي يقطع عنقه

---

(4) يسجد ايضا الضباط اذا استعمل المخرج بلوكباشية ويوزباشية .

كيف يكون احساسه عندما تمس شفرة السيف جلد الرقبة ؟ .. سياف .

باش شاطـر نعم سيدي .

مـــــراد هات السيف (يسرع السياف ويناول مراد سيفا عريضا يتسلمه مراد ويتأمله وهو يقول) آه .. هذا السيف العريض يعجبني . هذا هو الذي سيكون سيف الحق ... سيفا «باله» .. باله .. باله ... (ثم يرفع السيف كما لو كان يريد قطع رأس القاضى فيخر الممتحن على الأرض بينما ينهض كل الساجدين ذعرا ودهشة واستفظاعا) آه .. آه .. لم أكن أريد قطع رقبتك . آه .. آه .. آه .. لأن قطع الرأس بضربة واحدة أيسر بالسيف العريض .. آه .. آه .. آه .. سيف ممتاز .. سيف باله آه .. آه .. آه .. الباله آه .. آه الباله آه .. آه .. (يضحك كالمجنون وهو يتلوى كأنه صبي يلعب ثم يشخص فجأة ويقف بمكانه جامدا مادا يديه أمامه فيسرع إليه حموده وسعد).

حمـــــوده هل بك شيء ؟ .

مـــــراد بصري .. عيناي ...

حمـــــوده تعال الى المقصورة خذ دواءك واسترح سأصرف الحاشية .

مـــــراد أصرف العلماء وخل ديوان العسكر .(يخرج مراد يقوده سعد وعلي) .

الموقف الثالث : يشير حموده الى الحاضرين بانتهاء الموكب ويوجه الى الباب العلماء وقد احاطوا بزميلهم الممتحن يواسونه .

عالـــــــم يا ويح قوم حكموا في رقابهم وليد جبنهم (ثم يخرج حموده العسكر والحرس والسياقة وحامل المبخرة والطوق ويشير الى الدايات والآغاوات أعضاء ديوان العسكر بالبقاء وينصرف بدوره لاحقا بمراد ويتنفس الباقون بالقاعة الصعداء وهم : الآغه ابراهيم الشريف والآغه حسين بن علي والآغه محمد أغلو ، وآغه ديوان العسكر ، وآغه القصبة ، والداى مصطفى ڤاره ، والداى محمد خوجة الأصفر ، وقاضى العسكر) .

محمد آغلـو مسكين كاد أن يفقد بصره .

آغة الديـوان كنت أظن أنه فقده البته وها أنا أشاهده بصيرا مثلى ومثلك .

قاضى العسكر مسكين هو ... ياله من عذاب ...

آغة الديـوان عذابه سنرى نحن عواقبه على شاكلة لا قبل للشرع بها .

قاضى العسكر لقد قيل لي أن عمه رمضان باى سجنه . وها هو قتل عمه في سوسة . فيم النقمة اذن والثأر تم .

محمد آغلـو نعم .. نعم .. استطاع الهروب من السجن في سوسة بعد قتل سليمان البباص .

آغة الديـوان ذلك الكلب الذي كان يستخدمه رمضان باى للتعذيب .

مصطفى قاره لو كان حيا لما قلت أنه كلب .

آغة الديـوان دعنا مما كنا أنا وأنت نقول ، وهلم ننظر في أمر هذا الغضب الذي ملك فؤاد الباى ، انه أمر مريب والانتقام بحر ليس له ساحل .

قاضى العسكر باب الانتقام باب جهنم اذا انفتح لاحد لما وراءه .

حسين بن علي والطبيب أين هو ؟ .

قاضى العسكر نعم . هذا الطبيب الذي فعل معه هذه الفعلة يجب أن يشنق ونستريح به من الأمر كله دفعة واحدة .

مصطفى قارة وماذا كنت تتوقع منه ؟ ... أمروه فنفذ .

قاضى العسكر كان يجب عليه أن يرفض تنفيذ هذا العمل الوحشي .

مصطفى قاره اذا شبع سيدنا برأس الطبيب لن أطلب أنا المزيد .

قاضى العسكر علينا نحن سراة العسكر أن نوقف النقمة عند حد الجاني .

مصطفى قاره قل لي .. سيدي القاضى .. نفعنا الله برأيك .. هل كنت ترفض أنت ... لو أمروك .؟

قاضى العسكر أنا لست طبيبا .

آغة القصبـة اقتصار النقمة على الطبيب يجنبنا تكرار ما شهدناه الساعة .

محمد آغلـو التنكيل بالعلماء أمر فظيع لا يرضاه الدين .

قاضى العسكر أسأل الله ألا يعيد علينا هذا المشهد .

محمد آغلـو (ينطق تلقائيا) آمين (ثم يسرع بكم فمه بيده ويدير بصره الى الباب الذي خرج منه مراد بينما يضحك مصطفى قاره على حدة) .

آغة القصبـة لعلها حماسة اليوم الأول من الحكم سرعان ما يسكت هديرها (محمد خوجة الأصفر يترك الزاوية التي كان يتحادث فيها همسا مع ابراهيم الشريف ويقصد الى ناحية مصطفى ڤاره بينما ينفصل حسين بن علي عن الجماعة ويقترب من ابراهيم الشريف) .

ابراهيـــم ايه .. حسين، كيف حالك ؟ .

حسيـــن الحمد لله ، بخير وعافية .

ابراهيـــم ومن خير الى خير، مرة مع الثائر محمد بن شكر ... ومرة مع محمد باى .. ثم مع رمضان باى .

حسيـــن وأنت ؟ ألم تكن مع جيش محمد شكر في ثورته ؟ .

ابراهيـــم لا تغضب ... أنا أستعرض خدماتك ... ولا ألومك ..

حسيـــن ليس في الأمر ملام . كلنا سواء . لقد خدمت مثلي محمد بن شكر ومحمد باى ورمضان

وها نحن اليوم في خدمة مراد باى .

ابراهيـــــم بالله عليك لا تغضب .. أنا أريد أن أستكشف شعورك في هذه الساعة التي تنتقل فيها من مخدوم الى مخدوم آخر .

حسيـــــن شعورى هو شعورك أنت .

ابراهيـــــم شعورى أنا يا حسين أن هذه البلاد طال مرضها من الفتن انها تعيش منذ قرن في حالة حرب .. بين محمد باى وأخيه علي باي ... حرب بين محمد باى وباى قسنطينة . حرب بين محمد باى ومحمد بن شكر .. واقعة الأبواب في تونس .. واقعة الكاف .. واقعة قفصة .. فتنة القيروان ..

حسيـــــن وشعورى أنا مثلك، أننا في حاجة الى الطمأنينة ولست أدرى هل أننا واصلون لها أم لا مع سيدنا مراد .

ابراهيـــــم في وسعنا أن نساعده على اقرار الأمور .

حسيـــــن نحن في خدمته .. لكن كيف السبيل الى ذلك .

ابراهيـــــم ينبغي أن نقر لصاحب الامر النفوذ والسلطة .. فلا حكم بدون نفوذ قوى .

حسيـــــن انك ستثير ضغينة العسكر الغيورين على نفوذهم في المدن ، وغضب قبائل المخزن الحاكمة في البادية ، وحقد العمال الذين لهم

(تصوير كاميلية)

فاطمة : لا يا أمينة ! ... ذكريات الصبا لا تمحوها العوادى .

مراد : لا راحة ولا فرحة للذي عرف حقيقة الشقاء .

(تصوير كاهية)

اليد الطولى في الاقاليم .

ابراهيـــــم ان داء هذه البلاد يرجع بالذات الى البادية وقبائل الأعراب ، يجب حملهم بحد السلاح على السكن في المدن .

حسيـــــن فيخربونها اذن .. أو تبتلعهم المدن ونقضي على فتوتهم .. انهم مخزن الحكم والقوة .

ابراهيـــــم كل حضرى ميال الى السلم والطمأنينة .. الثورات تندلع دائما على أيدي الأعراب .

حسيـــــن اذا كان هذا رأيك في اقرار الحكم .. فانك فاتح للفتنة أبوابا جديدة .

ابراهيـــــم وتنتهي الفتنة على الاطلاق اذا انغلقت تلك الأبواب بالردع الحاسم .

حسيـــــن ان الفتنة التي شهدنا وجها لها اليوم أدهى من فتن الأعراب .

ابراهيـــــم سنرى ما هو أدهى منها اذا لم يتوطد الحكم .

قاضى العسكر (يقترب منهما مع جماعته ويسمع آخر كلامهما) أنت على حق يا آغة حسين .

آغـة القصبـة وهذا ما كنا نذكر الساعة .

قاضى العكسر انها حقا جريمة شنيعة كان مراد ضحيتها لكنها لا تجيز امتهان العلماء .

آغة الديـوان لا بد من التعجيل بالاقتصاص حتى لا يستفحل الأمر .

مصطفى قارة والا اضطررنا لمواجهة مراد ونحن من محنته براء .

محمد آغلو لكن ممن يكون الاقتصاص ؟ .

قاضي العسكر من الطبيب .. الطبيب .. الطبيب ..

محمد خوجة وهل الطبيب وحده المذنب ؟ .

آغة الديوان ومن يسأل عن الجناية غيره ؟ .

محمد آغلو أما رمضان باى فقد مات .

محمد خوجة وحاشية رمضان باى ؟ .

قاضي العسكر وما ذنب الحاشية ؟ .. الملوك تتوارثها وسلوكها هو هو .

محمد خوجة لقد استشارها رمضان باي فأوصت بسمل عيني مراد .

مصطفى قارة ومن من أهلها أوصى بذلك .؟

آغة القصبة من يدري ؟ من يدري الآن ؟ .

محمد آغلو غريبة والله هذه الدنيا .. لو سألت كل الناس لما وجدت اليوم عليما بما كان أمس اشهر من نار على علم .

آغة الديوان وهل ترضى يا محمد أن يحاسب كل الناس على فعلة مسؤول عنها واحد فقط ؟ .

محمد آغلو اذن .. من هو المسؤول ؟ .

الجميع (يرددون مرتين في مطابقة صوتية) نعم . من هو المسؤول؟ (مراد يقف على عتبة الباب ويسمع

تساؤلاتهم دون أن يتفطن له أحدهم ويباغتهم بالجواب) .

مـــــراد كلكم مسؤولون .

الموقف الرابع : يدخل مراد ووراءه حموده وسعد وعلى والسياف الأكبر .

مـــــراد نعم كلكم مسؤولون .. كلكم (يباغت ديوان العسكر بقولة مراد ثم سرعان ما يقبلون على تهدية خاطره) .

الجميـــــع نحن خدامك .. نحن في خدمتك .. نحن معك .. أعناقنا فداك (يطأطىء بعضهم رؤوسهم وهم يعلنون هذا الخضوع) .

مـــــراد ارفعوا رؤوسكم ولا تزحفوا .. ان ابغض الحيوانات عندى هي الزواحف .. نعم .. من المسؤول ؟ ... وماذا جنيت أنا حتى أمتحن بهذه النكبة ؟ .. ماذا قدمت يداي كي القى هذا الجزاء ؟.

قاضي العسكر لا حول ولا قوة الا بالله العلى القدير .

محمد أغلو بل لعنة الله على الشياطين التي وسوست لهم بالمكيدة .

مـــــراد الشياطين ؟ ... الشياطين التي وسوست ؟.. من هي الشياطين ؟.. أعطوني شيطانا واحدا

أقطع بقتله دابر الشياطين التي توسوس في الصدور .. سياف .

السيـــــاف نعم سيدي ..

مـــــراد هات الباله .. وانتم هاتوا شياطينكم ان كنتم صادقين ... هاتوا الشياطين .. آه ... آه .. آغة محمد ..

محمد آغلـو نعم سيدي .

مـــــراد اين الشياطين التي لعنتها الساعة .

محمد آغلـو طبيعة الشياطين أنها لا ترى .. أنها .. سيدي توسوس في الصدور .. ولا علم لنا بما في الصدور .

مـــــراد قل مالك به علم اذن . والا فلتصمت . هل أنا جان جنى على أحد .

آغة الديـوان حاشاك .. حاشاك ..

قاضي العسكر معاذ الله .. معاذ الله .

مـــــراد اذن .. لماذا ؟ وضحية من ؟ .

آغـة القصبـة ضحية الدسائس لا ريب .

مـــــراد الدسائس ؟ .. طيب .. اكشفوا الدسائس (صمت واعراض من الحاضرين) آه تجهلونها أيضا ..(ابتداء من هنا يشرع مراد في التهكم عليهم ومضايقتهم في موقفهم فيتجه قصدا الى بعض أثاث القاعة وهو يسائلهم) :أهذه هي الدسيسة .

آغـة القصبـة لا ... سيدي .. .

مـــــراد هذه اذن ..

آغـة القصبـة لا .. سيدي ..

مـــــراد لعنها هذه ؟ .. أو هذه ربما ؟ .

آغة القصـبة الدسائس .. سيدي .. فعل .. ليست . شيئا ملموسا .

مـــــراد كفوا عن التلاعب بالكلام والسفسطة . كلكم كنتم بمكانة من البلاط تؤهلكم للعلم بكل شيء .. وربما المشاركة ..

الجميـــــع لا سيدي .. لا سيدي .. بالله العظيم .

مـــــراد كفوا .. كفوا .. الشياطين توسوس في الصدور ولا ترى .. الدسائس فعل لا شيء ملموس .. تتخلصون من الأمر كما لو أن رمضان باى بات ليلته مدثرا فنزل عليه الوحى فقام صباحا وقصد الى سرداب القصر حيث السجن .. السجن ظلام .. الظلام فيه غلام .. الغلام مراد .. قال رمضان باى : انى أرى في المنام أنى أفقأ عينيك .. فماذا ترى ؟ قال لغلام .. افعل يا عماه ما أوحت اليك به الدسائس ستجدني ان شاء الله من الذين بعماهم يفرحون .. أهكذا كان الأمر ؟ لا .. الشياطين ترى .. والدسائس فعل رجال .. والجناية تقتضي يدا

مـــــراد لكنهم أفرطوا في الجناية ضدى وضدك وضد كل الناس .

فتاتـــــه صحيح .. صحيح لكن ماذا تفعل بقوله عز وجل (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك الا بالله . ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون . ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (9) .

مـــــراد لكن ... القصاص ؟ والجزاء ؟ .

فتاتـــــه (والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها . فمن عفا واصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين) .(10)

مـــــراد (يصمت حينا مطرقا ثم يخاتل الشيخ بابتسامة عريضة ويحيطه بذراعه وهو يوجهه الى الباب ويشير الى حموده بيده الأخرى ليصحب الشيخ) . بارك الله فيك سيدى المفتى .. بارك الله فيك (يخرج فتاته بخطى وئيدة ويتبعه مراد بالنظر وما ان يتوارى الشيخ حتى تهز مراد رعشة الانفعال) الصبر ... الصبر... الصبر... هذه مثل... آمين... لها مكان في كل مقام.. لقد صبرت طول سجني

(9) سورة النحل ــ الآيات 126ــ 127 ــ128 .
(10) سورة الشورى ــ الآية 39 ــ40 .

وعذابي .. صبرت لاشهد هذا اليوم الذي أنتقم فيه من المجرمين . واليوم .. لا صبر ولا رحمة .. بل انتقام .. لقد استبقيتكم هنا لا من اجل تعلم حكمة الصبر بل لأقتضى منكم انتم قادة الجيش وسراة القوم ... انتم من لا تخفى عليكم خافية في هذه البلاد أن تأتوني بالمجرم والآثم والمذنب والجاني فلا صبر اليوم ولا رحمة... بل انتقام ... انتقام واقتصاص .. نعم .. كفوا عن التلاعب وهاتوا القصاص، وأنت يا قاضى عسكر (يمسك بتلابيبه ويهزه هزا) أنت تعلم أحكام القصاص هات الآية .. الانتقام .. هات .. كيف ذلك .. اليد باليد ... اليد بـ .. بـ .. بـ .. كيف ذلك أيها العالم .

قاضى العسكر « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والانف بالانف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ».(11)

مـــــراد آهاه .. أعد .. أعد أيها القاضي .

قاضي العسكر « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين » .

(11) سورة المائدة ــ الآية 45 .

مـــــراد والعين بالعين .

قاضى العسكر والأنف بالأنف .

مـــــراد والعين بالعين .

قاضى العسكر والأذن بالأذن .

مـــــراد والعين بالعين .

قاضى العسكر والسن بالسن .

مـــــراد والعين بالعين .

قاضى العسكر والجروح قصاص .

مـــــراد والعين بالعين .

قاضى العسكر فمن تصدق .

مـــــراد قف .. لا حاجة لي بالباقي (يأخذ السيف من يد السياف) هاتوا المجرمين اذن لسيف القصاص .. هاتوا المجرمين .. هاتوا المجرمين هاتوا المجرمين (يتأخر الحاضرون في حركة اتقاء أولا ثم يتسللون وهم يمشون القهقرى شيئا فشيئا الى الباب فيهرولون ويبقى حموده وسعد وعلى وكذلك ابراهيم الشريف وكأنه تجمد في مكانه مبهوتا .. أما مراد فانه بهتافه المتصاعد يجهد نفسه ويلهث فيتحامل شيئا فشيئا نحو الاريكة ويرتمى عليها في حالة اغماء) .

الموقف الخامس : تدخل امينة مسرعة ووراءها بعد خطوات فاطمة .

أمينـــــة مراد .

فاطمـــــة سيدى .

أمينـــــة عزيزى (تجثو على ركبتيها بجانب أريكة مراد محاولة رفع رأسه من الوسادة) .

فاطمـــــة ماذا بك ؟ (تلحق فاطمة) .

أمينـــــة ماذا فعلوا معك ... سعد ... هات ... ماء الزهر أو ماء الورد ... هات .

فاطمـــــة مراد .. أنا فاطمة .. ألا تذكر .. افتح عينيك بربي ... مراد ..

مـــــراد أمينة ... أمينة .. ؟ أختي أمينة ... فاطمة ؟ .. آه ... فاطمة ..

فاطمـــــة نعم .. فاطمة ... بنت خالك .

مـــــراد آه .. فاطمة .. وصلت ..؟ مرحبا .. (يفتح عينيه ويجلس على الأريكة بعد أن رشت أمينة وجهه بماء الزهر فاطمة تبصر عينيه المحمرتين لأول مرة فتتأخر مندهشة) .

فاطمـــــة أوه ... أهذا ما فعلوا معك ؟ .

أمينـــــة (تخاطب مراد) استرح الآن .. استرح .

فاطمـــــة لعن الله هذا الملك الذي تكاد تموت من أجله .

مـــــراد لا يا فاطمة ... لا تلعني الملك .. العني البشر . العني الناس الذين اتخذوا منه مطية للاجرام .

فاطمـــــة اترك هذا الجحيم وتعال معنا بين أخوالك .

أمينـــــة كلا .. عش في القصر ملكا، وليس عليك من أمر الناس شيء .

مـــــراد لا .. بيني وبينهم حساب .. حساب طويل .

أمينـــــة عش لنفسك ودع هذه الهواجس .

فاطمـــــة انك في مقتبل العمر .. عش مثل اندادك مع أصحابك .

مـــــراد اصحابي ؟ لست أدرى من هم ؟ .. حموده ، صديق .. صحيح . لكن الآخرين .. لست أدرى ..

امينـــــة وما يهمك منهم ما دمت ملكا ؟ .

مـــــراد بيني وبينهم حساب ... حساب طويل .

فاطمـــــة وهل الحساب أحب اليك من السعادة ؟ .

مـــــراد أي سعادة بهاتين العينين يا فاطمة ؟ .

امينـــــه اننا معك مهما يكن حالك .

فاطمـــــة سوف ننسيك كل ما حل بك .

مـــــراد لا يا فاطمة .. لا يا أمينة .. ما قدر لى في الحياة مكتوب ..

أمينـــــة مكتوب لك الشقاء ؟ .. مكتوب لك العذاب ؟. أنى لك هذا ؟

مـــــراد نعم مكتوب .. مكتوب يا أمينة .. والا كيف لا أملك أن اعيش مثل سائر الناس ... سائر الأمر ..

أمينـــــة اننا نحبك أكثر مما يطمع فيه أمير ..

فاطمـــــة أنت أعز الناس عندى ، أنت رفيق الصبا والأمل العذب .

مـــــراد كلما اشتعل قلبي حبا ومحبة، احرقته نار النقمة والثأر .

أمينـــــة دع هموم الامس وانظر الى الغد .

مـــــراد كيف انظر وأنا أعمى .

أمينـــــة انك لست أعمى .

مـــــراد أعمى أو معرض للعمى ، سيان عندى .

فاطمـــــة إن الزمان بلسم للجروح .

مـــــراد أنى لى أن أنسى والسنة اللهب تشتعل في عيني ؟ .

فاطمـــــة الاطباء يستطيعون علاجك .

مـــــراد الجرح الذي في قلبي لن يزيله أي طبيب .

أمينـــــة قد تنسيك السعادة والزواج كل الجروح .

فاطمـــــة قد يرزقنا الله اطفالا تتحول بهم أيامك الى أفراح .

مـــــراد أطفال ؟ يرثون الشقاء منى كما ورثته عن أبي ؟ .

أمينـــــة الا يمكن للمحبة أن تفعل شيئا ؟

فاطمـــــة اليس للحنان في قلبك تأثير ؟ .

مـــــراد محبتكما تساعدني على تجنب الهوى ... والحب قوتي جأشى .. ونصرى صرامتى ..

القوة والصرامة هما السبيل الوحيد .

فاطمـــــة أى سبيل ؟ .

مـــــراد سبيل الحرب ضد النفاق والجبن وراحة البال وسراب الحياة .. كلها سراب .. لا راحة ولا فرحة والاقدار تحملني الوزر بدون جرم .. كلها سراب . ونفاق وكذب .

حمـــــوده سيدى دعك من اليأس .. وانظر .. حواليك أصدقاؤك واهلك .. كلنا نكن لك المحبة .

مـــــراد وأنا أيضا أكن لكم المحبة .. ما أملك من محبة (يشير الى فاطمة وحموده وأمينة) وجمعتكم حولى لاني لم أنس محبتكم .. وأحسن شاهد هو أني عزمت يا أمينة أن اضمن لك سعادتك .

أمينـــــة سعادتي هي فرحتك في الدنيا .

مـــــراد سأزوجك من ابن عمنا أحمد، حفيد عثمان داى .

أمينـــــة سيدي أبقاك الله .. كل ما تراه أنت مبروك .

ابراهيـــــم انه قرار حكيم يقوى أركان الملك برباط المصاهرة بين عائلة عثمان داى والاسرة المرادية .

مـــــراد وهذا ما أرجو من زواج أمينه بسليل الامراء حتى أقطع عن عائلة عثمان طريق الطلب .

فاطمـــــة الم تقل انك تبتغي سعادتها ؟ ها أنت تزوجها لغرض في نفسك .

مـــــراد سعادتها في الزواج من امير ترضاه .

فاطمـــــة مبروك أمينة ... مبروك ..

أمينـــــة تهنئيننى لان المكان خلا أمامك الآن .

فاطمـــــة أوه .. ماذا تقولين ؟ .

أمينـــــة لا شيء .. الزمان بيننا على كل حال .

فاطمـــــة هل فصل الحظ بيننا بعد ؟ .

أمينـــــة بالعكس يا فاطمة ، بالعكس (مع ابتسامة شاحبة) .

مـــــراد ما هذا التهامس بينكما ؟ .

أمينـــــة لا شيء .. كانت فاطمة تهنئنى .

فاطمـــــة وأنا سيدى ؟ ماذا رأيت لي ؟ .

مـــــراد أنت بنت خالى تبقين معى في الخير والشر .

أمينـــــة (على حده) خادمة مطيعة .

فاطمـــــة حفظك الله ومنحك السلامة والصحة .

حمـــــودة انه ليوم سعيد ... يوم عيد لسيدنا والرعية .

ابراهيـــــم ان زواج سيدنا لا يزيد الناس الا اطمئنانا والملك رسوخا والسلطة هيبة ونفوذا .

مـــــراد من قال لكم اني عازم على الزواج ؟ من حدثكم برغبة في نفسي للراحة والاطمئنان ؟

فاطمـــــة سيدى .. أنت ..

أمينـــــة مهلا .. فاطمة .. مهلا ..

حمـــــوده لكن ...

ابراهيـــــم لا بد لسيدنا من الزواج .

مـــــراد قلت : لا راحة ولا زواج .. ولا سعادة للذي عرف مثلى حقيقة الشقاء ..

ابراهيـــــم لكن سيدى ، الدولة في حاجة الى نظام والزواج في نظر الناس ركن من أركانه مثل الجيش والقضاء والدين و ...

مـــــراد كفى .. كفى .. النظام ؟ النظام ؟ تتحدث عن النظام كما لو أنه كل شيء ؟ وعواطفى أنا ؟ أين محلها من النظام ؟ .

ابراهيـــــم سيدي ان الناس لا تخشى شيئا قدر خوفها من العيش بدون نظام .

مـــــراد الناس .. الناس .. من هم الناس ؟ ندعو لهم بالخير، يقولون آمين ... نسل سيفا للبغي والشر يقولون آمين .. وتفقأ عيني أمير أمامهم وهم يسبحون للملك ويرددون آمين ... آمين .. امر واحد لا يقولون عنه آمين .. اذا طلبت منهم المال واردت الجباية ... اليست يا ابراهيم الجباية ركنا من أركان النظام ؟ .

ابراهيـــــم سيدى نظام الدولة ليس ضد القصاص .

مـــــراد وسيرون من القصاص الوانا والوانا (ضجيج يتعالى خارج القصر) .

حمـــــوده ما هذا الضجيج ؟

مـــــراد علي .. اذهب وانظر ما هذا الضجيج (يخرج على) وأنت أمينة ، خزائني مفتوحة لك لتطلبي ما شئت لجهاز عرسك (تقبل امينه يده وتخرج بدورها) حموده . ادع ابا الحسن السهيلى ، وأبا القاسم الخنفي .

حمـــــوده الست شديد التعب ؟ هل في الأمر ما لاينتظر الغد ؟ .

مـــــراد لقد استرحت الآن .. ادعهما .. ان واجبات الحكم عاجلة .

حمـــــودة حاضر سيدى . أظنهما لم يغادرا القصر بعد (يخرج بدوره) .

مـــــراد (يقطع القاعة جيئة وذهابا وهو مطرق غير مكترث باحد ثم يخاطب ابراهيم) ... ادع الآغه محمد اغلو ..

ابراهيـــــم حاضر يخرج بدوره .

الموقف السادس : مراد يستأنف تجواله في القاعة غير عابىء بفاطمة أو سعد .. فاطمة تجلس على حافة الاريكة وتتبع مراد بالنظر ثم تشرع تغنى صوتا بدويا بصوت خافت ثم ترفعه شيئا فشيئا على قدر انتباه مراد لغنائها ، مراد لا يسمع في الأول ثم يتوقف فجأة ويدير رأسه محدقا في فاطمة ثم يتجه الى حيث هي .

فاطمة يا خالى كثرت همومي
والعقل في الضيق ضيق
يا خالي دهمت حسومي
والحب ناره تفيق

مـــــراد (يحيط كتفيها بذراعه ويجيب على النغم نفسه) .
يا حليله نا فيك راغب
قلبي سواده تنور
في ديني نا فيك طالب
سبحان من خلق وصور

فاطمـــــة (تضع رأسها على كتف مراد) يا للسعادة .

مـــــراد هل تذكرين يا فاطمة كيف كان الحادى يغني والفتيات يجبنه ويرددن مقاطع غنائه .

فاطمـــــة اذكر كل شيء . اذكر الغابة . والجدول . وخيمة جدى ...

مـــــراد آه .. يالها من أيام .. لن تعود .

فاطمـــــة قد تكون الأيام المقبلة أحسن منها .

مـــــراد هل تتذكرين تلك .. الـ ... الـ ... الأغنية التي كانت تنشدها البنات ؟ .

فاطمـــــة (تفكر حينا ثم) آه .

الق دلـو ارفع دلـو ..
دلو مالح دلـو حلـو .
اذا بختك دلوه ساهل .
وقت الشدة تلقى السلو .

مـــــراد هذه هي ... تعالى ننشدها (يرددان سويا النغم الخفيف ويهزهما الطرب حينا ثم يضم مراد فاطمة الى صدره) آه .. يا فاطمة .. يا فاطمة .. يا فاطمة . (الضجيج الذي بقى مسموعا منذ الموقف السابق يزداد ويتصاعد ويدخل حمودة مسرعا) .

حمـــــوده ان ابا الحسن السهيلى، وأبا القاسم الحنفي واصلان فورا .

مـــــراد (يفك ذراعه من حول كتفي فاطمة) فات الشباب .. اذهبي الآن (تخرج فاطمة .. يدخل ابراهيم الشريف ووراءه الآغه محمد آغلو) .

الموقف السابع : يعود مراد ليجلس على الاريكة ويلحق بهم السهيلي الحنفي ... مراد ينظر اليهم جميعا ويشير الى ابراهيم الشريف .

مـــــراد آغه ابراهيم .. اني أوليك قيادة صبايحية الترك ، بدلا من الآغه محمد آغلو ، وأوليه هو قيادة الينى تشرى .

حمـــــوده حسنا .. حسنا .. بهذين الرجلين على رأس جند الترك تستطيع أن تفعل المعجزات .. (ابرهيم ومحمد يقبلان يد مراد بينما يهنؤهما الآخرون) .

الحـــاضرون مبروك ... مبروك ..

مـــــراد وقررت أن أولى أبا الحسن السهيلى وزيرا باش كاتب . وأبا القاسم الحنفى خزندار (السهيلى

والحنفى يقبلان يد مراد ويهنؤهما الآخرون) .

الحـــاضرون مبروك .. مبروك ..

مـــــراد أما المزارقية وعساكر زواوه ودريد فانها ستبقى بقيادة محمد بن فطيمة .

حمـــــوده أمنت سيدى لدولتك النفوذ بهؤلاء الرجال .

السهيلـــى سنكون معك في خدمة الحق والعدل .

الحنفـــى سوف أجعل من خزينتك كنزا لا يفنى .

ابراهيـــم عنقى فداء لسلامتك وسيفى ضمان لها وكل الجوانب حراسك .

محمد أغلـو سأجعل من الينى تشرى جيشا قويا يرهبه عدو الله وعدوك .

مـــــراد بارك الله فيكم .. بارك الله فيكم .. والآن وقد أتممنا ترتيب الحكم وانتظمت الصفوف لنبدأ الانتقام .

الجميـــع الانتقام ؟ .

مـــــراد نعم ، الانتقام من كل الذين عبثوا .

ابراهيـــم ان كنت تقصد القصاص ممن الحق بك الاذى فذلك حق مشروع أما الانتقام ...

السهيلـــى الانتقام لا يليق بمقام الامير (يهم مراد بالجواب ولكن وصول علي وهو يجري يلفت نظره) .

الموقف الثامن : على يومئ ايماء الابكم شارحا لمراد ومراد يفصح بلسانه اشارات خادمه .

مـــــراد ماذا ؟ الحاشية .. والعسكر ... والسيافة ... والعلماء .. ومعهم راجل يجرونه على الأرض ..؟ (ما ان ينتهي حتى يصل الضجيج الى الباب ويدخل كل الذين حضروا الموقف الثاني ... الا الشيخ فتاتة والشيخ القاضي الذي امتهنه مراد .. ويجر الجماعة بينهم رجلا يركلونه ويشتمونه) .

الجميـــع كلب .. خنزير .. مجرم .. سفيه .. منافق .. اليوم يوم الحساب .. سترى شر العذاب .. اقتلوه ... اشنقوه .. قطعوا لحمه .. (يصل هذا الموكب الغريب الى مراد فيلقى الرجل بين اقدامه بينما ترتسم على وجوه الوافدين علامات الانشراح ويهنىء بعضهم بعضا ويشير كل واحد من جماعة الصف الأول الى صدره، كأنه هو صاحب الامر في القبض على الرجل ... أما مراد فانه سرعان ما يبعدهم عن الرجل ويتفرس في وجهه ثم فجأة بينما أحاط به وزراؤه متسائلين ينحنى مراد ويحمل الرجل في كنف صمت رهيب الى اريكته ويجلسه ثم يلتفت الى الوافدين وقد بهتوا واخذوا يتقهقرون فيسألهم واحدا واحدا) .

مـــــراد ماذا فعل هذا الرجل ؟ .

مصطفى قاره أراد سمل عيني سيدنا .

مـــــراد ماذا فعل هذا الرجل ؟ .

آغة الديـوان فعلة شنيعة .

مـــــراد ومن أمره بها ؟ .

قاضي العسكر كان عليه أن يرفض .

مـــــراد من أمره ؟

عالـــــم آذكروا موتاكم بخير .

مـــــراد ألم يكن بعضكم حاضرا ؟ .

مصطفى قاره الحاشية تخدم الامير وتطيع .. الامر بيد الامير .

مـــــراد وما رأى الشرع ؟ .

عالـــــم قال الله تعالى :(ولكم في القصاص حياة) .

مـــــراد وممن يكون القصاص ؟ .

قاضي العسكر من الجاني اذا ثبتت ادانته .

مـــــراد ألم يأمره الامير بذلك بعد موافقة الحاشية والوزراء والشرع والعسكر ؟ .

عالـــــم قال الله تعالى : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) .

مـــــراد أو لم يطع صاحب الأمر ؟ .

محمد خوجة لكن سيدى هذا الطبيب .. ليس مسلما .. لا ينسحب عليه قول الله تعالى .

مـــــراد كان عليه حينئذ أن يعصى الامر ؟ أن يتعرض للنقمة ؟ هو وحده ؟ أما أنتم فالطاعة عندكم واجبة ؟ .

محمد خوجة لكن سيدى ...

مـــــراد هذا الذي أبت مروءته أن تتلوث يداه بما رضى

به الجميع ... هذا الذي عرفت في ظلمة السجن شهامته حين زاغت عن الأفق شهامة رجال الدولة الميامين .. هذا الذي فتح أمامى باب النجاة حين تظافرت على اغلاقه عمامات المعممين ... هذا أشرف من أن تمتد له يد الاجرام فتجره جر السوائم المقتولة ... ليس هو المجرم .. اني ارى السرداب المظلم في هذا القصر وقد شدوا رأسى الى احدى العرصات ... ارى هذا الطبيب وقد اقبل ... واقترب .. اني اسمع شتائم الزبانية في اذنى ... آه (صيحة هائلة) ما هذه الحمرة ؟ ... أهي حمرة شمس الغروب تسللت الى غياهب السجن ام هي حمرة ورد الشباب الضائع ؟ (يسكت ويتنفس الصعداء وهو يجمع قواه) لا .. انها حمرة ألدم الذي غشي البصر ... حمرة الدم .. الدم .. وحمرة الألم اللاذع .. الألم الذي يفجر الرأس عذابا .. آه .. ها هو الطبيب يعود .. ها هو الطبيب يعود .. ها هو الطبيب يعود .. لا .. ابعدوه .. لا .. لا .. لا تبعدوه .. انه يقترب منى .. انه يهمس في أذني .. مراد .. مراد .. إنّي لم افعل ما أمرت به .. اني لم أفقأ عينيك .. اني جرحت جفونك وآذيتك ظاهرا حتى يظنوا اني طاوعتهم ... ان

جفونك ستبقى دامية وسوف يظنون انك أعمى .. حذار .. مراد .. حذار .. حذار أن يتفطنوا .. انهم سيفقأون عينيك فعلا ويقتلونني .. حذار .. خذ هذا الدواء واحتفظ به خفيا ولا تضعه .. انه كان بي رحيما .. ارحم من عمى ومن أهلى ... (صمت .. يثوب مراد الى الوعي بمن حوله فيحدق فيهم) يا أهل الرياء .. لقد أخطأتم المرمى (يشير الى الطبيب) ليس هذا من أريد .. ليس هو .. اني لن أقف عند هذا الحد ان مصابي اعظم من أن يعدله الاقتصاص من أداة الجناية .. اني أريد اليد التي حركت الأداة ... وأريد العقل الذي أمر اليد ... وأريد المشاركين والاتباع .. ان ثأرى لا يشبع من رأس واحد .. كلكم مجرمون .. تعالوا الى القصاص أو هاتوا المجرمين .. هاتوا المجرمين .. هاتوا المجرمين .

ابراهيـــــم سيدي لا فائدة في الانفعال ... سينال كل المذنبين عقابهم حسب العرف والشريعة .

مـــــراد هاتوا المجرمين .. كفاية من النفاق .. الباله جاعت .

مصطفى قاره سيدي أكبر مجرم هو مزهود ، مغنى رمضان باى .

مـــــراد الباله جاعت .

آغة القصبـة وشريك مزهود هو مصطفى بن عبد النبي ، كان يوسوس له بالمكائد .

مـــــراد الباله جاعت .

آغة الديـوان ومحمد العواني مفتى القيروان وصاحب رمضان باي .

قاضى العسكر بل الداى محمد خوجة الذي تعاون مع مزهود على قتل الشيخ محمد قتاتة .

مـــــراد الباله جاعت ... هات الباله جاعت .

عالـــــم وعلي بن خلف الذي كان مستشار رمضان باى .

محمد خوجة وأبو الغيث البكرى امام جامع الزيتونة شريك مزهود والداى محمد في قتل الشيخ فتاتة .

مـــــراد انكم تعلمون كل شيء .. هاتوهم .. الباله جاعت .

آغة الديـوان وسليمان خزندار (يؤلف الحاضرون حلقة عريضة مفتوحة حول مراد) .

مـــــراد يا أيها المنافقون تعلمون كل شيء وتتألبون على هذا الطبيب المسكين . تتفقون على تقديمه وحده كبشا للفداء وتهرولون الي فرحين مستبشرين ، فاذا اقترب منكم سيف الحق كشفتم عن لفيف من المجرمين .. وكل منكم يبعد الشر عن أهل رتبته .. كل الذين لهم ضلع في ما جرى بهذه البلاد من فساد

سأتعقبهم بالسيف أقطع رقابهم بنفسي . لا حرمة صينت ولا وفاء لعهد .. يتعشقون الحياة وتهون أمامهم كل الرذائل .. يحرصون على متعة انفسهم ولا تثور لهم مروءة للدفاع عن يتيم .. يحبون الحياة حبا جما ويغرقون في الجبن فتعمى أبصارهم .. أبصارهم .. وأى بصر لهم وهم لا يرون الحق ؟ أبصارهم .. وهل بصرهم مثل بصرى .. عيونهم سلمى ولا ترى وعيناى الجريحتان تبصران خفايا نفوسهم من وراء السجف الحمر التي تغطى نظري (يعود التململ يحرك صفوف الحاضرين وتتسع حلقتهم بتدرج بعضهم نحو الباب) .. نعم .. كلكم مجرمون .. ربي لقد أرادوا قتلى وكان بفضلك خلاصي .. ربي لقد أبتغوا لي العمى فأبقيتني شاهدا على جبنهم وسيفا مسلولا على أعناقهم .. ربي امنحنى من لدنك القوة لاقطع دابر الافك والبهتان ، واجعل من هؤلاء المجرمين قطيعا من اكباش الفداء يمضى فيها السيف بالتهليل والتكبير ... سآخذهم بذنبهم اليوم قبل يوم القيامة .. .. سآخذهم بآثامهم كلها ولن أنس منها واحدة .. ربي ... ربي .. ربي .. (يتحامل على نفسه ووجهه مكفهر ويسقط مغمى عليه بين ذراعى سعد وحمودة

اللذين أسرعا اليه عندما بلغ به الغضب المجهود) .

المنظر الثاني [1] قصر باردو ... قاعة أخرى غير قاعة المنظر الأول . الشكل العام هو هو . تنجيد القاعة يختلف بكثرة الارائك والزرابي . ويمكن ان يضاف الى ذلك شباك من الطراز التقليدي «حديد مشبك أو برمقلي» ومائدة عليها صينية فوقها حلويات ومشروبات حتى تبدو وكأنها قاعة استراحة أو قاعة انتظار او استقبال .

الموقف التاسع : ابراهيم جالس على احدى الارائك وبجانبه سيفه .. تدخل امينة وكأنها تتسلل خفية الى القاعة وتشير اشارة الى خارج القاعة كانها تأمر احدا بان يبقى بالباب . تتأكد ان ابراهيم منفرد فتزيل برقعا خفيفا عن وجهها وتخاطب ابراهيم :

أمينـــــــة سيدي ابراهيم .

ابراهيـــــــم (يقف احتراما لها) أميرتنا أمينة ستترك وحشة في قلوبنا بعد الزواج .

أمينـــــــة (تجلس) وفيم الحسرة اذا كان بيتي بيتكم ؟ .

ابراهيـــــــم حفظك الله وأعز بك دار الملك .

امينـــــــة لقد رصدت وصيفتي (تشير الى الباب الذي دخلت منه) لتتحين انفرادك باحدى القاعات لأني أرغب في التحدث اليك عن دار الملك حقا .

ابراهيـــــــم وهل في الامر ما يدعو للسر ؟ .

---

(12) تغيير شكل القاعة ضروري ولو بحذف أو اضافة بعض الاثاث حتى يشعر المتفرج ان وقتا مضى بعد المنظر الأول وانها مرحلة جديدة .

أمينـــــــة إنك تعلم أن مراد لا ينتسب إلى أسرة الملك إلا من أبيه ؟

إبراهيـــــم وهل ينتسب الناس الى العائلات بغير والديهم ؟ .

أمينـــــة أعني ان زواج أبيه ببنت قبيلة عرب لا يدعم مركزه .

ابراهيـــــم أراك في طريق المفاخرة المحاط بالأشواك ومراد يحبك .

أمينـــــة ولذا اسعى لما فيه عزته ومجده .

ابراهيـــــم وكيف ذلك ؟ .

أمينـــــة أعني ان عزة الملك تفرض أن يتزوج مراد من أميرة أصيلة حتى يتدارك بالزواج ما ينقصه بالولادة .

ابراهيـــــم أرى أن احتمال قرانه بفاطمة يزعجك .

أمينـــــة أنا أحب فاطمة على قدر محبتي لمراد . لكن فاطمة عربية ومراد ملك . عليها ان تتزوج بمن يعدلها ، وعليه أن يقترن باميرة سليلة أمراء .

ابراهيـــــم لقد كان الأمر في غاية اليسر لو تزوجك أنت ، بنت عمه .

أمينـــــة ها هو الحق ... لكن .. ما دام الامر قد قضى فلنفكر جميعا في سلامته وعزة ملكه . أما أنا فان زواجي سيعقد اليوم .

ابراهيـــــم اليوم ؟ .

أمينـــــة هكذا قرر مراد .

ابراهيـــــم لهذا دعا العلماء ... مبروك .

أمينـــــة بارك الله فيك .

ابراهيـــــم أما سلامته فاني لا أفكر الا في دفع مراد الى مسالك العزة والمجد والاعراض عن أعمال الانتقام واسالة الدماء (يصمت حينا وتهم أمينة بالكلام فيقول) أرى حقا أن زواجه يعيده الى جادة السلوك ومتعة الحياة .

أمينـــــة لكن .. مع أميرة يكون لها سلطان على فؤاده .

ابراهيـــــم أو مع فاطمة . انه يحبها فيما أعلم ..

أمينـــــة أبدا .. أبدا .. أبدا .. (يقف)= .

ابراهيـــــم هل هي الغيرة من فاطمة أم الغيرة على مراد ؟ .

أمينـــــة بل الغيرة على هيبة مراد .. لقد قلت اني أحب فاطمة . وهذا حق . وفي وسعنا أن نزوجها من رجل غنى . أو رايس من رياس البحار . أو ... حتى باش حامبة .

ابراهيـــــم وماذا تنتظرين منى ؟ .

أمينـــــة أن تقنعه بالزواج وتتشدد في اختيار أميرة من الاميرات التركيات حتى لو اقتضى الامر خطبتها في استنابول . بذلك نكون خدمنا جميعا عزة البيت المرادى .

ابراهيم انا في خدمة البيت المرادى دائما (تخرج أمينة بعد أن تعيد البرقع على وجهها . ابراهيم يتبعها بالنظر ثم يهز كتفيه ويضحك ويعود الى الجلوس . تدخل فاطمة) .

فاطمة أراك ضاحكا . سيدي ابراهيم . هل هي طرافة الحديث مع أمينة عن الزواج الوشيك ؟ (ابراهيم يتفرس وجه فاطمة وعلى وجهه علامات تعجب) .

فاطمة لقد التقيت معها في الرواق وسألتها عنك فوجهتني اليك هنا .

ابراهيم اي والله .. طرافة الحديث مع أمينة شرحت صدرى .

فاطمة اللهم اجعلها بشرى الخير ... فلقد جئت لتشرح صدري .

ابراهيم ماذا بك ؟

فاطمة لقد عشت في البادية من قبل .. ولا أشعر بالاطمئنان في هذا القصر الذي يتهامس فيه الناس في كل زاوية .

ابراهيم تلك هي طبيعة القصور .

فاطمة اني اخشى على مراد .

ابراهيم وانت أيضا ؟ .

فاطمة ماذا ؟ ماذا ؟ هل لديك ما .. ما .. يدعو للخوف ؟

ابراهيم لا .. لا .. اطمئني .. لقد كانت أمينة تحدثني عن خشيتها من .. مستقبل مراد .. فطمأنتها .

فاطمة آه .. انها حقا أميرة فاضلة ..

ابراهيم حقا ..

فاطمة تحب مراد .

ابراهيم من كل جوارحها .

فاطمة وتحيطني بشواهد المحبة والاكرام .

ابراهيم حقا .. حقا .. حقا .. ماذا تريدين منى لاشرح صدرك ؟ .

فاطمة اني اتوجس خيفة من أعمال مراد . واخشى غضب الناس .

ابراهيم انه افرط .. لكننا لم نيأس من ارجاعه الى الصواب . وعلى أي حال اننا قائمون على حمايته .

فاطمة هذا ما أردت ان اسمعه منك انت .. أرجو أن تعاهدني على ذلك وأن نبذل جهدنا جميعا لتهدئة خاطره وابعاده عن المخاطر .

ابراهيم ان زواجه .. لو تزوج . يحبب له الحياة قطعا .

فاطمة انه لا يرغب في الزواج .

ابراهيم انه يحبك ويطمئن اليك ...

فاطمة لقد وهبته نفسي .. وكرست وجداني لسعادته

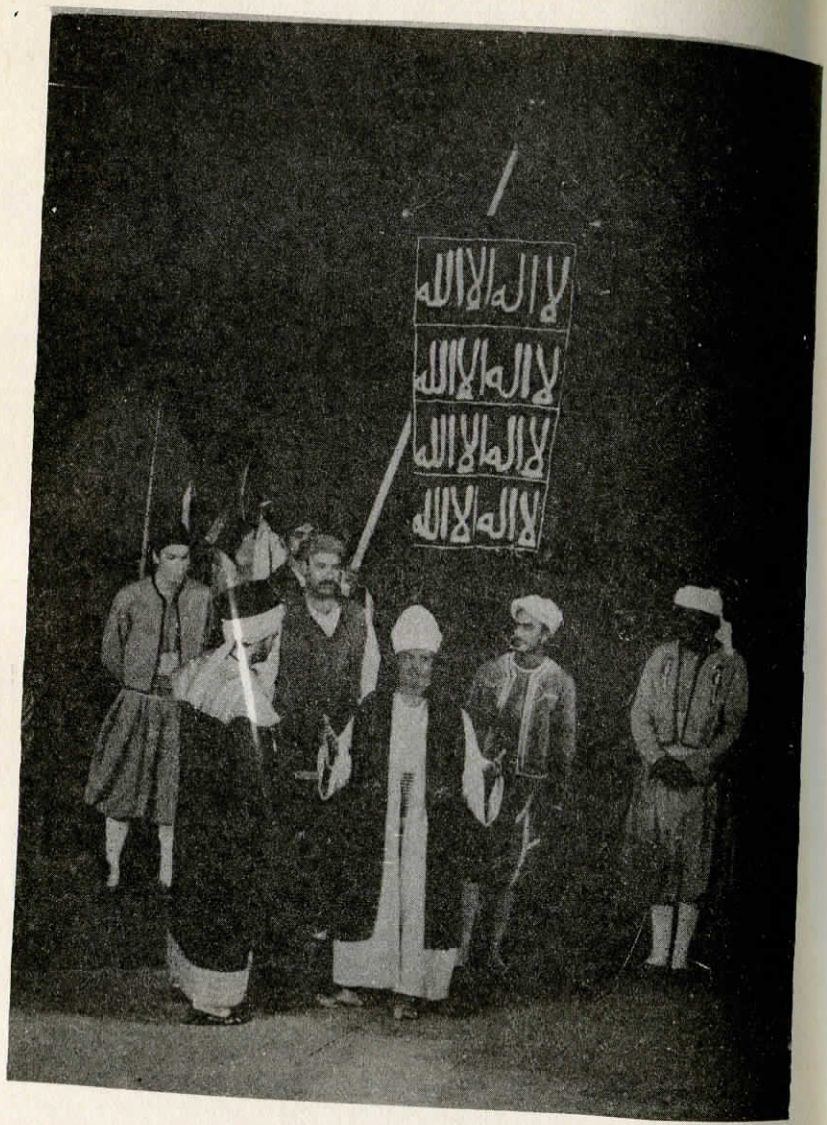

ولا غاية لي سوى فرحته .. لكنه لا يرغب في التزوج لا بي ولا بغيري .

ابراهيـــــم اذن لم يبق لنا الا ان نتشدد في كبح جموحه من أجل سلامته .

فاطمـــــة هل تعاهدنى ؟

ابراهيـــــم أعاهدك .

فاطمـــــة مع السلامة . اني لاحقة بامينة .

ابراهيـــــم مع السلامة (ابراهيم يقف لحظة صامتا وعلى وجهه علامات الحيرة . يدخل محمد الاصفر كاتبه متسللا) يالها من عقدة .

محمد خوجة كل العقد لها حل .

ابراهيـــــم (يلتفت الى كاتبه) هل انت كاتب أم كتاب ؟ .

محمد خوجة كلها كتابة وأنا في خدمتك وفي حمايتك .

ابراهيـــــم حمايتي ؟ ومن اين يطل الخطر ؟ .

محمد خوجة أنا كاتبك والكاتب مودع الأسرار. لا أبوح بما تفكر أنت لكنى أعلمك بما ينتهي الى علمي وما يقال لي لابلغه لك . وقد علمت ان الغضب نفخ في قلوب كثير من الناس .

ابراهيـــــم لن يجرأ أحد على شيء طالما أني قائد الحرس ، نخبة فرسآن الترك .

محمد خوجة وهذا هو الخطر بعينه .

ابراهيـــــم كيف ذلك ؟ .

محمد خوجة ان العسكر لا أمل لها الا فيك ودايات الديوان

مراد (يعانق الطبيب) : لقد كان بي رحيما .. ارحم من عمي ومن أهلي ..

لا خشية لها الا منك .. والبلاد ، لا استقرار لها مع مراد .. اذا أردت أصبحت صاحب السلطان فيها .. واذا أبيت ، تكون قد فرطت في بختك ، وقصد الناس غيرك ، وهذا عين الخطر .

ابراهيـــــم كفى .. كفى .. بمثل هذه الخرافات والاوهام تقطع الرؤوس وتسيل الدماء . ألم تقنعوا بما أهرق من دماء ؟ .

محمد خوجة كل سراة القوم ادركوا من أول يوم تولى فيه الحكم مراد أن سيل الدماء بحر .. وقد سعينا لسد الطريق بالاقتصاص من الطبيب فأبى مراد . وقلنا ان الثأر من اقرب الناس الى رمضان باى سيشفى غليله وأبى مراد الا أن يمعن في التنكيل والتعذيب والتقتيل .

ابراهيـــــم كفى .

محمد خوجة البلاد استولى عليها الرعب .

ابراهيـــــم قلت كفى .

محمد خوجة والعلماء والعساكر وو ...

ابراهيـــــم كفى .. كفى .. اسمع يا محمد ، اذا كنت أمينا فتجنب هذه المزالق والا كان لك معى أنا أمر .

محمد خوجة أنا كاتبك الامين . أعلمتك بما علمت ولك القول (يهم بالخروج) .

ابراهيـــــم محمد .. (يرجع محمد خوجة الأصفر) اشكرك على وفائك وامانتك .. اعلمني بكل ما ينتهي اليك .. اعلمني بكل شيء أولا بأول .

محمد خوجة (تنشرح اساريره) نجم بختك مازال ساطعا .

ابراهيـــــم اعلمني بما يقول العسكر والناس .. لا برأيك أنت . (محمد خوجة الأصفر يحى سيده ويخرج .. ابراهيم يزفر زفرات حيرة وقلق) كيف يكون الوفاء ؟ وكيف تكون الأمانة ؟ لقد كان العيش سهلا رغم الحروب حين كان الامير أميرا ، والعالم عالما ، والناس رعية ، لقد انقض مراد كل نظام .. ثم هذه أمينة تطلب المساعدة للكيد لفاطمة .. وهذه فاطمة تسأل الوفاء لعهد حماية مراد .. والعسكر يتحينون الفرص .. ومراد ؟ ينتقم (يهز كتفيه هزؤا ويشير بيده اشارة عريضة ثم يعود الى اريكته فيجلس مطرقا) .

الموقف العاشر : حركة خارج القاعة يتبعها دخول مراد وحوله حمودة والسهيلى والحنفى وعلى .

مـــــراد أنت هنا يا ابراهيم ؟ .. حسنا اذن لنجلس هنا . (يجلس مراد ويبقى جميع الحاضرين وقوفا) .. دعوتكم لاني قررت ان يتم زواج ابنة عمى أمينة اليوم .

السهيلـــى هل الزواج يعني عقد القران أم الزفاف ؟ .

مـــــراد الزفاف والعرس ، وعقد القران .. كل شيء يتم اليوم .

ابراهيـــــم قرار حكيم .. الافراح تكسب الملك بهجة وتنشر في قلوب الناس السرور والانشراح .

الحنفـــــى لو أمهلتنا سيدى حتى نجمع مالا لاقامة حفلات البهجة .

مـــــراد قررت ان يتم الزفاف اليوم .. وسيتم اليوم .

السهيلـــى ما دام رأى سيدنا انعقد ليتم الزفاف اليوم فليكن .

الحنفـــــى لكن .. مقام الامارة يقتضى حفلات تليق به .

مـــــراد لا مراسم ولا احتفالات كثيرة . لقد دعوت الداى وديوان العسكر ورجال الشرع وسينعقد الحفل بعد حين .

السهيلـــى ليكن هذا اليوم عيدا .

مـــــراد انه عيد ابنة عمي وعيدي .

السهيلـــى ما دام عيد أميرنا فليأذن كما جرت العادة باصدار عفو .

مـــــراد عفو ؟ .

السهيلـــى عفو .. تنشرح له الصدور وترتاح له الناس .

مـــــراد عفو ؟ .

ابراهيـــــم هيبة الامارة تقتضي من حين لآخر نشر الفرحة بين الناس .

مـــــراد عفو ؟ .. على من ؟ .

حمـــــودة على بعض الاشقياء واللصوص والقتلة .

مـــــراد آه .. لكم ذلك .. رتبوه كما شئتم .. سننظر فيه من بعد .

السهيلـــى ليسمح لي سيدنا .. لو امتد هذا العفو الى بطانة رمضان باى بانهاء تعذيبهم لكان ..

مـــــراد كيف ؟ .. ماذا تقول ؟ .. جماعة رمضان باى ؟ إني لم أفهم جيدا .. اعد ... .

السهيلـــى سيدي ابقاك الله . الناس تتذمر .

مـــــراد أعد ما قلت .

السهيلـــي قلت سيدي .. أبقاك الله .. النّاس تتذمر .

مـــــراد أعد ما كنت تقول .

السهيلـــى قلت ، سيدي ، أبقاك الله ، ان شمول العفو جماعة رمضان باى بطريقة ما ..

مـــــراد ومن هم أصحاب رمضان باى ؟ مزهود ؟ .. عبد النبي ؟ ..

السهيلـــى سيدي أنا لم أطلب العفو على مزهود أو عبد النبي .

الحنفـــي على من اذن تطلب العفو ؟ .

ابراهيـــم هيبة سيدنا في نظر الناس تستوجب عملا سريعا .

مـــــراد والله . لو سمعت كلمة العفو مرة أخرى لاجريت هذه البالة في رقابكم .

حمـــــودة سيدى أبا الحسن ، هل هذا وقت الحديث عن اولئك الناس ؟ نحن نتحدث عن زفاف الاميرة أمينة وعن فرحة سيدنا فلا تبدل فرحتنا بأسا .

السهيلـــى سيدي ، أنا وزيرك ، نفسى فداء لك واخلاصي ..

مـــــراد ايه .. ايه ..

السهيلـــي لا رغبة لي إلّا في دوام عزّك .

مـــــراد إيه .. إيه .

السهيلـــى لقد كان الناس ناقمين على مزهود ورهطه . لكن .. كلما طال تعذيبهم وخرجت اخبارهم للناس ازداد الاشفاق عليهم .. فالقصاص شيء والتعذيب شيء آخر .. لا ترضاه الناس .

مـــــراد هل فرغت من الثرثرة .

الحنفـــى يكفى .

حمـــــودة يكفى الآن .. اسكت .

الحنفـــى هل جننت ؟ .

ابراهيـــم لو قتلوا يوم ولايتك لما رأى أحد في الأمر ملاما .. لكن طول التعذيب ينقص من هيبة الملك .

مـــــراد تعني أن القتل العاجل أحسن من التعذيب مع طول الحياة .

ابراهيـــم ان للناس ذاكرة ضعيفة لا تمر أيام حتى تمحى منها ابشع الصور .. اما الرجل المعذب فانه

يذكى اشفاق الناس عليه . القتل العاجل اسلم .

مـــــراد لو قتلوني مثلا .. لكان الامر أحسن وأسلم .

ابراهيـــم اني لم أقصد هذا .

السهيلـــى سيدنا أبقاك الله .. الناس تستنكر قتل الشيخ محمد العواني .. وتعذيب الشيخ ابي الغيث البكرى .

مـــــراد لماذا ؟ .

السهيلـــى لان الشيخ العواني كان مفتى القيروان ، والشيخ البكري امام جامع الزيتونة .

مـــــراد وقتل الشيخ حمودة فتاته ابن المفتى محمد فتاتة ؟ هل نسته الناس وقد كانت تستفظعه وتصلى في المساجد للدعاء على الجناة ، مزهود والداى محمد وعبد النبي والبكرى ..

السهيلـــى سيدي ، سخط الناس اليوم مثل سخطهم بالامس لقتل الشيخ فتاته .. انهم لا يرون الشيخ محمد العواني في مسحة الرجل الذي اثار القيروان ضد والدك وافتى لرمضان باى ، انهم يرونه عالما من علماء الشريعة وشريفا من سلالة النبي . كذلك الشيخ البكرى لا ينظرون له نظرتهم للفاتك بالشيخ فتاته بل لامام جامع الزيتونة .

مـــــراد لقد كان الشيخ العواني مجرما .

السهيلـــى لقد كان مفتيا .

مـــــراد وكان الشيخ البكرى مساهما في جريمة قتل .

السهيلـــى كان امام جامع الزيتونة .

مـــــراد ومالى والمفتى والامام .. لقد قتلت الرجل .

ابراهيـــم سيدنا ، في كل بلاد تحترم الناس المفتى والامام .

السهيلـــى لقد قتلت المفتى وعذبت الامام .

مـــــراد كان عليه أن يتخلى عن الافتاء قبل وفاته .

ابراهيـــم ذلك ما لا سبيل اليه .

مـــــراد لقد حاسبت الرجل لا العمامة .

السهيلـــى لا ينظر اليه الناس الا والعمامة على رأسه .

مـــــراد العلماء حينئذ لا يحاسبون على أعمالهم .

ابراهيـــم حاسب من تريد .. لكن اترك للناس فرصة النسيان .. والاطمئنان ..

مـــــراد (ساخرا) اذا كان الاقتصاص من انفار الجناة يزعج الناس ، فماذا سيفعلون عندما يبلغ سيف القصاص المدن التي تضم اوكار الشر .

الجميـــع ماذا ؟ .

مـــــراد اول مدينة سأفتك بأهلها .. بعد حفل الزفاف هي باجة ..

الجميـــع باجة ؟؟ .

ابراهيـــم ما الذي اثار حفيظتك سيدنا؟ باجة أم اعراب باديتها ؟ .

مـــــراد باجة ... باجة .. باجة ..

الموقف الحادى عشر : يدخل الآغه محمد اغلو والداي مصطفى قارة .. يقبلان يد مراد ويأخذان مكانهما وقوفا مع الحاضرين بينما يعلن حمودة عن وصول حسين بن علي .

حمـــــودة ها هو سيدى حسين ، قدم الينا من قابس .

مـــــراد أهلا .. أهلا .. كيف حال الأعراض .

حسيـــــن (يقبل يد مراد) تركتها بخير تذكر رعايتكم وتدعو لكم بدوام العمر (قطع دخول الوافدين الثلاثة تسلسل المحادثة فارتسم على موقف ابراهيم والسهيلى الحرج وأخذا يتحادثان همسا باشارات عريضة وسعى حمودة الى تهدئتهما مع الحنفي بينما تجاهلهم مراد جميعا وخاطب القادمين واحدا واحدا) .

مـــــراد لقد طال مقامك يا حسين بالاعراض . وحاجتي اليك هنا أشد من حاجتي الى قيادتك لعروش الأعراض .

حسيـــــن الأمر بيدك سيدى .. وقد ارتحلت حالما وصلني أمرك .

مـــــراد لقد وصلت يوم الزفاف .. زفاف ابنة عمى أمينة العزيزة علي .. فلتكن معنا في هذا الحفل فقد قررت أن أوليك منصب الكاهية بتونس .

حسيـــــن (يقصد مراد من جديد ويقبل يده وكتفه الايمن) ابقاك الله سيدي . ستجدني وفيا للعهد .

مـــــراد آغه محمد .. كيف حال العسكر ؟ .

محمد أغلـــو العسكر اصناف سيدي ، ضباطك في خدمتك . أما الجند فان اختلاطهم بالناس مريب .

مـــــراد كيف ؟ .

محمد أغلـــو ان تضايق الناس من اراقة الدماء يتأثر به الجند .

مـــــراد افصح آغه محمد افصح (السهيلى وابراهيم يقفان وقفة تأييد لمحمد اغلو) .

محمد أغلـــو سيدى ، يوم وليتني قيادة جند الترك وأوليت الآغه ابراهيم مكاني على رأس الجوانب ، عاهدتك على الوفاء ووفائي هو الذي يدفعني لاصارحك بأن صفوف الجند تنتابها حركة مريبة .

مـــــراد احبسهم بالقشلاق ..

مصطفى قارة هذه أول مرة اسمع فيها احد يتحدث عن شيء مريب في صف جند الترك .

مـــــراد لعل الآغه محمد هو أيضا متضايق من القصاص (يشير الى ابراهيم والسهيلى بحركة كانه يقول : مثل هذين الرجلين) .

السهيلـــــى لكن .. سيدي .. نحن نحيطك علما بالحقيقة وأنا على صدق .

ابراهيـــــم وعزمك على الفتك بباجة لم نكن نتوقعه .

محمد أغلو باجة ؟ .

الجنفي باجة !! ..

مصطفى قارة لكن .. سيدي .. اهل البلدة اطيب الناس .. أهل جد وعمل وفلاحة .

ابراهيم ان داء هذه البلاد يرجع اصله الى الاعراب البدو ولا الى المدن .. هلا رحمت البلدة وهي قاعدة حضارة .

مراد لا . فكرت ثم فكرت ، وقررت ، ولا رجوع في قرارى ! وهذا ليس حديثنا اليوم .

ابراهيم سيدي انت صاحب الحل والعقد .. غير أن ..

مراد لا غير ولا أن ... ولا أنات ..

السهيلي هل في الأمر مهلة ؟

مراد لا مهلة بعد الافصاح عن عزمي ، وسأدمر باجة .. والقيروان ..

الجميع القيروان ؟ .

مراد نعم القيروان .

السهيلي القيروان مدينة الصحابة والتابعين ..

مراد القيروان ..

ابراهيم مدينة الاشراف والعلماء .

مراد القيروان ..

محمد اغلو قصبة الاسلام الاولى في هذه الربوع ؟ .

مراد نعم ولن يشفع فيها صحابي ولا شريف (يلتفت الى حسين بن علي) وانت ، ما رأيك ؟ .

حسين انا كنت في قابس ، وقبائل الاعراض صاحبة شهامة ووفاء .

مراد نعم انها عشائر الفتوة والاخلاص . لن يلحقها ضرر .

الحنفي قبل أن نفتك بباجة ونلحق بها القيروان دعنا سيدى نأخذ منهما مال الخزينة ثم يكون لك ما أردت .

مراد يا سلام .. هذه أول كلمة حق اسمعها هذا اليوم .

ابراهيم ان القيروان كانت أول مدينة بايعتك .

مراد نفاق علمائها وشيوخها .. لو ثار ثائر غيري على رمضان باى لكانت اول من بايعه .

السهيلي سوف ينكر عليك الناس هذه الفعلة .

مراد الناس .. الناس .. وانت ايضا مع الناس ؟ .

السهيلي أنا مع الحق في خدمة عزة ملكك .

ابراهيم لقد قتلت المفتى العواني الا يكفى القيروان مصابها فيه ؟ .

مراد قتلت العواني وسجنت الشيخ البكرى في تونس هل تريد ان اسرد عليكم كل ما فعلته ؟ تأبون خسة الجرائم وتعارضون قساوة القصاص .

حمودة دعونا يا سادة نحتفل بزواج للاَّ امينة .

محمد آغلو القصاص له حدود .

السهيلـــــى كنا نرتجي انهاء عذاب المعذبين فاذا نحن امام مصاب باجة والقيروان .

مـــــــراد عذاب المعذبين لا حد له يا أبا الحسن . لقد زرتهم اليوم واستحدثت لهم فنا جديدا للتنكيل بهم فقد استقدمت رأس سيدهم رمضان باى وأمرتهم بتلقفه تلقف الكرة .

محمد اغلـو اهذا هو الفن الجديد ؟ .

الجميـــــع آه ؟ .

مـــــــراد نعم .. نعم .. ولقد حرضتهم على التحمس في اللعب فرأيت منهم نشاطا ايقنت به أن لهم بعد العذاب الطويل قدرة على الحياة غريبة (يدير كل الحاضرين وجوههم عنه اشمئزازا) .

سعـــــــد لقد حضر القضاة لحفل الزفاف .

مـــــــراد تعالوا .. نمرح ردحا .. تعالوا . (يخرج مراد وحوله حمودة وسعد وعلى ووراءه حسين بن علي والحنفي . ثم السهيلى بخطى متثاقلة ووراءه الآغه محمد أغلو . ويليه ابراهيم الشريف ومصطفى ڤارة . لما يبلغ ابراهيم الشريف الباب يمسك مصطفى ڤارة بذراعه ويعيده الى وسط القاعة) .

الموقف الثاني عشر :

مصطفى ڤاره (مسرعا في حديثه) سيدي ابراهيم، ليس هذا الوقت متسعا للحديث الطويل . هل حدثك كاتبك ؟ .

ابراهيـــــم (متعجبا) فيم السؤال يا مصطفى ؟

مصطفى ڤاره ان كل ما قاله الآغه محمد منذ حين صحيح فقد شمل الغضب الجند جميعهم .

ابراهيـــــم ألم تؤكد امام سيدنا انك لم تسمع بذلك قط ؟ .

مصطفى ڤاره الم تر ان الصراحة لا تجدى والنصيحة لا تنفع ؟ لقد حاولنا اشفاء غليله بالاقتصاص من الطبيب فلم يرض وسلمناه بطانة رمضان باى فأسرف في تعذيبها والآن يتعدى حدود النقمة الى الفتك بالمدن . دائما الباله جاعت الباله جاعت .. (يقول مصطفى هذا وهو يشخص مرادا مجنونا راقصا بالباله) حتى متى يكون الصبر ؟ .

ابراهيـــــم (غاضبا) حذار من هذا المكر اني قادر على حماية سيدنا من كل المكائد .

مصطفـــــى بل أنت وحدك القادر على ابعاد الخطر عنه ولكنك انت كذلك القادر وحدك على تزعم جند الترك .

ابراهيـــــم أنا آمرؤ أبغض الفوضى وأتعشق النظام .

مصطفى ڤاره الفوضي في ما يأتيه مراد من فعل وفي عاقبته . اذا رفضت تزعم جند الترك سادت البلاد اكبر فوضى (يدخل محمد الاصفر متسللا فيراه ابراهيم ويتفرس فيه ثم في مصطفى ڤارة) .

ابراهيـــــــم هل نحن في دولة بنى مراد ؟ ام نحن في وكر الخديعة والتآمر ؟ .

مصطفى قارة دولة بنى مراد .. (يهّز كتفيه) دولة بني مراد يا سيدى ابراهيم (ينحنى واضعا ذراعيه على صدره ثم يقبل يديه ويمس جبهته على طريقة التحية التقليدية) تدعونا الى زفاف اميرتها امينة (يشير الى الباب بذراعيه فيخرج ابراهيم مسرعا) .

محمد خوجة (منحنيا) نحن في خدمتك .

القسم الثاني

المنظر الثالث : قاعة العرض التي استعملت للمنظر الأول .

الموقف الأول : السهيلي والحنفي وابراهيم وحمودة يتحدثون في انتظار وصول مراد .. الاسى والاستسلام ظاهران على هيأة ابي الحسن السهيلى وحمودة .. الحنفى مستخف بالامر كمن بذل جهدا واكتشف ان لا طاقة له فنفض يديه .. ابراهيم عابس .

السهيلـــــى كأن الحيل يا أبا القاسم ليس منها جدوى .

الحنفـــــي لكل امرىء في ضميره ما نوى .

السهيلـــــى الضمير حق .. واستكشاف خباياه اقرب الى التنجيم منه الى اليقين .

حمـــــودة لقد بذل كل واحد منا غاية الجهد لاستبعاد الكارثة .

ابراهيـــــم كوارث لا كارثة واحدة .

السهيلـــــى نعم .. صنعنا حيلة ذات اليمين وحيلة ذات

الشمال وحيلة من خلف واعذارا من فوق والتاريخ شاهد ، والله غفور رحيم .

حمـــــودة وماذا كنا نصنع غير ما صنعنا ؟ .

ابراهيـــــم صد جيش خليل باى عن القيروان باثارة الاعراب للدفاع عنها .

الحنفـــــي لقد ثار آغه سليمان في باجة على رأس جنده فكان جزاؤه الذبح على يدى مراد ، ولم تسلم باجة .. فما بالك بالقيروان لو ثارت الأعراب ؟ .

حمـــــودة ومتى كان أهل جلاص ووسلات يحبون القيروان لنذود عنها بأرواحهم .

السهيلـــــي لقد كانت المصيبة تتسع بقمع القبائل بعد المدن .

ابراهيـــــم ان الخسارة كل الخسارة في باجة والقيروان اما قمع البدو ، فليس منه الا الفائدة كل الفائدة .

حمـــــودة لقد كدنا نفجع في الكاف ايضا . عندما غضب سيدنا على محمد صبنيول وذبحه ذبحا.

حنفـــــى لقد كان ذلك درسا نافعا لاخينا ابي الحسن اذ شهد عاقبة الوقوف في وجه مراد ، ولم يكن من ذنب آغه محمد الا الدفاع عن صديقه آغة باجة ..

ابراهيـــــم لو نجحنا في اثارة الاعراب للدفاع عن القيروان لفزنا بانقاذ القيروان وزوال الاعراب

معا .. اما على يدى خليل باى طرابلس أو على يدى سيدنا مراد .

السهيلـــــي أعترف بعجزي عن الفهم يا آغه ابراهيم .

ابراهيـــــم ان مصاب هذه البلاد الأعظم بقاء البدو على حالهم مع تفرق صفوفهم . ولو قاموا للحرب ضد باى طرابلس دفاعا عن القيروان لنال منهم سيف خليل باى وسيف مراد، وكانت القيروان في الحالتين تنقذ من النهب والبلاد تتخلص من الاعراب .

الحنفـــــي وهذه يا أبا الحسن حيلة لم تخطر لى على بال .

السهيلـــــى لم تكن من ذلك فائدة ترجى ، اذ دافع اهل القيروان بأنفسهم عن مدينتهم فهزموا وجالت ايدى عساكر خليل باي في ارزاقهم وزاد مصابهم بما سلط عليهم مراد من عقاب حين اقتضى منهم هدم بيوتهم بأيديهم .

ابراهيـــــم اني مصر على الاعتقاد بأن ثورة الاعراب كانت تصد عن المدينة الهلاك .

حمـــــودة وأنا لا أفهم اصرارك على الفتك بالاعراب .

ابراهيـــــم ان القبائل والعشائر هي اصل الفتن .

السهيلـــــى وهي اصل المجد الذي بناه العرب في اول الاسلام .

ابراهيـــــم وهي التي خربت هذه البلاد عندما اطلقها الخليفة الفاطمي تعيث في الارض فسادا .

الحنفـــــي كأني بك يا أبا الحسن قد وجدت من الهاك عن حيلى .

السهيلي ليس في المصاب ما يبرر الهزل .

حمودة لقد كنا نتألم لفظاعة تعذيب اصحاب رمضان باي فنسيناهم بمصابنا في باجة والقيروان .

ابراهيم وها نحن اليوم كالانواح قد شف اكبادنا الاسى .

الحنفي ازمة ولا انفراج لها .

حمودة ايه .. ايه .. يا له من دهر (يرسل الزفرات تباعا) .

الموقف الثاني : يدخل مراد متبوعا بخادميه سعد وعلي .. ينظف اسنانه بخلالة .. ويلحق بهم حسين بن علي .

مراد ما بك يا حمودة ؟ .

حمودة لا .. لا شيء سيدنا .

مراد هل تعرفون ما كنت اصنع منذ حين ؟ .

الجميع لا .. ماذا كنت تصنع ؟ .

مراد كنت امتع نفسي بأكلة شهية .

ابراهيم آه .

حمودة بالصحة والشفاء سيدنا .

الحنفي لا بد ان تكون بدعة جديدة صنعتها للا فاطمة .

السهيلي حلوى من تركيا ؟ .

مراد لا .. لابدعة .. ولا حلوى .. شواء .. لحم مشوي .

ابراهيم لحم مشويّ؟ هذا امر عادي.. حتى العامة ..

مراد لم يكن شواء عاديا .

الحنفي لعله كان مكفنا بالكمون وتوابل أخرى ذكية ؟

مراد كان ثمة كمون ... صحيح .. لكن المشوى كان بالشيش .

السهيلي آه ، شيش كباب تركى ..

ابراهيم لعل شهية الامير قوية اليوم .

مراد اي والله ... طيبة ... طيبة ..

ابراهيم ليسمح لي سيدنا .. ان الوقت ليس وقت أكل .

مراد كل وقت صالح لأكل لحم الأعداء .

الجميع الأعداء ؟ .

مراد نعم .. الأعداء .. سعد .. قل لهم كيف أكلت لحم اعدائي .

سعد (يتلعثم) ويغص حلقه بالكلام) سيدنا .. سيدنا مراد .. كان ... كان يأكل ..

مراد مالك تتلعثم .. انبئهم بما علمت ورأيت .

سعد سيدنا .. كان يقطع من لحم مزهود ويشويه على سفود ويأكل منه (حركة استفظاع عامة لدى كل الحاضرين) .

ابراهيم (يستجمع قوته ويملك اعصابه) انت .. أنت أميرنا تأكل لحم البشر ؟ .

مراد لقد كان لحم ظهر مزهود فيه ييس .. اما

الفخذ فقد كان ارق من أغانيه كان لحما لذيذا .

السهيلي اغانيه .

مراد لقد امرته ان ينشدني احدى الاغاني التي كان يأخذ بها عقل رمضان بينما كنت آكل من لحمه .

الحنفي وغنى ؟ .

مراد غنى وتغنى وطرب وطربنا .. السجن في قصرى أطيب مما تتخيلون لقد كان كل الملاعين فرحين مستبشرين يصفقون ويرددون مقاطع الاغاني .

ابراهيم وانت تأكل من لحمهم ؟ .

مراد كمون وملح .. هل تريدون أن تأكلوا معي تعالوا .. تعالوا ..

السهيلي (يشد على بطنه بذراعه) اع .. اع ..

الحنفي (وهو يرتعش من التقزز) سيدي .. اعفني .. انى اكره مزهود .. ولا أطيق النظر اليه .

حمودة (مكشرا في استفظاع) انت تعلم سيدنا انني اكره المشوى ، أحب الاكلات الذكية [13] .

ابراهيم (حانقا) ليسمح لي سيدنا بالانصراف .. ان الجند ينتظرونني بالقشلاق للتفتيش .

(13) في العرض يقول حمودة القناوية وهي المعروفة باسم البامية في الشرق وهي أكلة يعرف بها الموسرون من أهل المدينة في تونس .

(حسين بن على بعد ان لازم موقف المتفرج طوال المشهد يلوح بيده عندما يسمع قول ابراهيم وكأنه يجيبه : هيهات .. هيهات) .

مراد ابراهيم ... ابق هنا ..

ابراهيم سيدنا .. الجند ينتظرونني .

مراد قلت ابق هنا .. (يجيل نظره بينهم) ان كلامي لم يعجبكم ؟ .

الحنفي كلامك سيدنا .. لا حرج منه .. لا حرج من الكلام .

مراد وفعلي ؟ .

حسين فعلك لا يعجب من بقلبه حنين الى الماضي .

ابراهيم الحق يدفعني للجهر .. أكل لحم البشر لم يخطر لي على بال .

مراد لقد تحركت قلوبكم بالعطف ، ومزقت امعاءكم الفظاعة .. (يشير الى على باحضار شيء . علي يومىء ايجابا برأسه ويخرج) من هو مزهود الذي مازالت في قلبكم رأفة عليه ؟ .

السهيلي انس من جنس الجناة .. شريعة الله تأمر بالاقتصاص منه وتأبى الاسراف .

ابراهيم تعذيبه يكفر عنه السيئات ، وأكل لحمه يبخس الامارة (على يعود مسرعا وبيده دفتر يتسلمه منه مراد) .

مراد جرائمه ليست سيئات عادية تقبل الكفارة .. انى لم

افعل شيئا الا سبقني اليه من ليس له مقامى وحقي . واذا نسيت الناس كما نسيتم اليوم ، ذكرهم هذا السجل بما كان من أمرهم (يقذف بالدفتر الى ابي الحسن السهيلي) اقرأ يا أبا الحسن .. اقرأ ..

السهيلي (يفتح الدفتر وهو يتردد ثم يقرأ) تسميم الداى الحاج مصطفى قارة اكوز .

مراد دعه ... قصته معروفة .. اقرأ ما وقع بعده

السهيلي (يتصفح الدفتر) الداى محمد طاطار وقتله ثمانمائة نفس في خمسة أشهر من ولايته .

مراد لقد بقى ذكره الى الآن والناس تقول ... حكم طاطار في القصبة كناية عن الظلم والبغى ولم يكن اميرا . اقرأ ما بعده .

مراد حكم رمضان باى .

مراد آه ... آه .

السهيلي فوض تدبير البلاد للمغنى مزهود .

مراد هات صحيفة مزهود .. هات .

السهيلي استحوذ على عقل سيده وتصرف في البلاد تصرف الملك المتعسف ، وعبث بالارواح والاموال .

الحنفي واسرف في تعذيب رجب خزندار حتى اثر الموت .

حمودة وامر بسجن الشيخ حمودة فتاته المفتى وخنقه .

حسين كان يعذب أعداءه بما تقشعر الجلود من سماعه .

مراد ولم يكن أميرا .

السهيلي (يواصل القراءة) الداى محمد خوجة .

مراد العبد الآبق والغادر .

حمودة قتل الشيخ فتاته بأمر من مزهود .

مراد غدرا وبلا جرم ولا حق .

الحنفي كان يسعى لاسترداد هيبة الدايات وسلطانهم .

حسين كان يظهر التقوى ويثير العلماء بعضهم ضد بعض ، ويكيد لهم بالسم والغدر .

السهيلي الخزندار سليمان بن سليمان .

حسين سرق اموال الامارة واقتسمها مع مزهود .

حمودة شارك مع مزهود في تعذيب رجب خزندار .

مراد ولم يكن أميرا .

السهيلي مصطفى عبد النبي .

مراد آهاه .

الحنفي شيطان مزهود اللعين

حسين انغمست يداه في كل جريمة .

حمودة طمعا في المال ، والجاه .

مراد ولم يكن أميرا ..

السهيلي علي بن خلف ...

حمودة هذا أيضا ياله من داهية ، كان ملقن الشر لرمضان باى .

الحنفي قد يكون صاحب فكرة الفتك بسيدنا مراد .

حسين المتواتر على كل حال انه كانت له يد في كل مكيدة .

السهيلي الشيخ أبو الغيث البكرى .

مراد امام جامع الزيتونة .

حسين لم يستنكف من التحريض على قتل الشيخ فتاته .

الحنفي اهل البلاد جميعا كانوا في طريق التآمر والكيد .

حمودة الاقلة .

ابراهيم اذا عم المصاب خف وزنه .

مراد لا .. آغه ابراهيم .. لا .. كل مذنب بذنبه لا جمع ولا تفريط .

السهيلي (يغلق الدفتر يائسا) قائمة الناس وقائمة الجرائم طويلة ... لا فائدة . اقتلهم واسترح من امرهم .

مراد لا .. يا أبا الحسن .. لو قتلتهم لنسيهم الناس .. وقد نسيتم بعد جرائمهم .

ابراهيم لكن الاقتصاص منهم لا يبرر أكل لحومهم .

مراد لقد فعلوا ما هو انكى . وليس لهم عذر .

ابراهيم أما لهذا الجحيم من نهاية

مراد الجحيم لا حد له . والا ما كان جحيما .. كلما بلغت النفوس قاع الشقاء وجدتها في

بداية عذاب جديد (يهم ابراهيم بالخروج) الى أين ؟ .

ابراهيم الى القشلاق لتفقد الجند .

مراد دعك من الجند .. لم تعد انت رئيسهم (ابراهيم يرجع مبهوتا .. مراد ينظر اليه ساخرا ثم ينطلق ضاحكا مقهقها .. ثم يخاطب ابراهيم وكأنه يطمئنه) اني مرسلك الى استانبول لتعبئة فرق جديدة من الينيتشرى .

ابراهيم فرق جديدة .؟

مراد نعم . نعم . لحرب الجزائر .. اني لم اعد مطمئنا للجند الموجودين معى .

السهيلي هل حدث ما أثار في نفسك الريبة ؟ .

حمودة لعلهم يطمعون في المال ؟ .

مراد لقد ارضيت دائما جندي بما عندي من مال .. لا من مال الناس .. ولم أجد منهم الا الجحود .

ابراهيم جحود ؟ .

مراد نعم .. آغه حسين ! حدثهم بما كان .

حسين ان ما سبق للآغه محمد اغلو أن أعلمنا به صحيح . وقد ثبت أن الجند تألبوا للاطاحة بسيدنا مراد .

مراد تنكر لي ستة وثلاثون منهم وحكمت اليوم بشنقهم جميعا .

ابراهيم شنق ستة وثلاثين جنديا ؟ .

مراد ستة وثلاثون عسكريا من الاتراك شنقتهم بنفسي .

السهيلي شنقتهم أنت ؟ .

مراد بحبل واحد .

حمودة يالها من مصيبة .

مراد ليست مصيبة افظع من مصيبتي في زوج أمينة .

السهيلي ماذا جرى في ساعات حتى لا نسمع به ؟ .

حسين لقد تآمر مع الجند .

مراد لقد خان المودة والقربى .

حمودة سيدى احمد خان سيدنا ؟ اني لا اصدق ..

مراد نعم لقد اكتشفنا المكيدة .

السهيلي لعله لم يتآمر، وانما أراد الخير عن حسن نية .

مراد وهل الخير في التواطؤ مع الجند لقتلى ؟ .

حمودة سيدي احمد رجل طيب لا أصدق انه يتواطأ مع أحد للقتل .

مراد لقد كان منه ذلك وتحققت بنفسى .

السهيلى قد تكون في الامر شبهة .

حسين لا شبهة ولا شك .. يا حسرتاه .

مراد وقد اصدرت حكمى بضرب رقبته .

حمودة سيدى لا تفعل بجاه القرآن تريث حينا .

مراد اسكت .

السهيلى لقد زوجته من ابنة عمك وهي عزيزة على قلبك .

مراد اسكت .

الحنفي اسجنه ريثما تتجلى الحقيقة .

مراد اسكت .

ابراهيم لقد زهقت ارواح كثيرة .

مراد وزهقت روحه كذلك .. فقد نفذت فيه حكمي (حركة ذهول وانهيار لدى الجميع باستثناء حسين الذي يكتفي باظهار الاسى .. مراد يجلس متعبا) لقد اتعبني الدهر ، واتعبني اصدقائي بالتعليل والجدل ، دعونى وحدى فقد عشت وحيدا ، اتركوني ، خلوا سبيلى ان شئتم ، اذهبوا حيث شئتم ، سأحمل وزرى وحدى .

ابراهيم ستة وثلاثون عسكريا وزوج ابنة عمك في يوم واحد ، ان في هذا لمدعاة للتعب حقا .

مراد تسخر مني يا ابراهيم وانت موضع ثقتي ..

ابراهيم ليس المقام مقام هُزْءٍ ، بل مقام أسى .

السهيلى حدثتنا عن مصائب اقوى من الصبر .

مراد وماذا بعد الصبر اذا نفد .

السهيلى انفضاض الناس من حواليك ، اذا كانت عائلتك نفسها غير مطمئنة .

مراد وهل كنت يوما مع الناس او كانوا معى ؟ اني لا أملك ان أكون مثلهم لاني فريد البخت ،

لقد أدركت ذلك وأنا أصلى جحيم البصر الجريح في ظلمة السجن ، لو كنت مثل الناس لما نالني سوء ، انما تعرضت للتنكيل والتعذيب لانى امير من بيت الملك .. وصرت ملكا لأنى نجوت من المكيدة .. وملكت حق التشفى والردع لاني توليت الحكم .. شقوتي ونجاتي لا تشبهان حظ الناس .. حياتي قدرت لي الوحدة في اليسر والعسر .

ابراهيم نظام الدولة يقتضي احترام شريعة ثابتة الأحكام .

مراد تدافعون عن نظام كنت أنا ضحيته .. لسنا في صف واحد ونظامكم لا شأن لي به فليقوضه سيفى ويغرقه في الدماء .

ابراهيم انك لا تستطيع ان تحكم بدون قانون .. فانت القانون لانك الامير .. وانت ملاذ الناس في ايمانهم بالعدل والانصاف .

مراد انا لست القانون ولست فوقه .. انا في كفة أخرى . نظامكم في واد . وحياتي في واد آخر

ابراهيم ولكنهما يلتقيان في الحكم .

مراد ذلك ما سلف من اثم .

السهيلى لا حول ولا قوة الا بالله .

مراد اني ارى ان صفاء ولائكم قد تكدر (يقف

جامدا في مكانه) سعد (يسرع اليه سعد .. مراد يخاطبه هامسا) اين هم ؟ .

سعد (يدرك ان بصر سيده قد غشيته سحابة عابرة) انهم امامك الى اليمين .

مراد (في همس) ائتني بالدواء (يخرج سعد ويفهم على ما في الامر فيقف امام مراد) قلت .. ان صفاء قلوبكم قد زال .

حمودة سيدى انت تعلم مقدار محبتي لك ، غير انى ابكى لفقدان زوج للا أمينة .

مراد زوج امينة هو الزوج الذي بنيت لها أنا به .. وسوف اعيد لها فرحتها بغيره .. محبتي لها لم تمح .

ابراهيم بعد العلماء والوجهاء جاء دور الجند والأهل والحاشية .

مراد انك تلومني يا ابراهيم كما لو أني قتلت كل العلماء وكل الأعيان وكل الجند وكل أقاربي .. لقد قتلت رجالا أذنبوا ولم أقتل مقاماتهم ومراتبهم .

ابراهيم قتل أصحاب المراتب يثير حفيظة أهلها الاحياء .

مراد لذا كرهت هذه الحصون المنيعة التي يلجأ اليها النفاق ويترعرع فيها المكر والكيد .

السهيلى ان للناس بها حاجة .. ولا حياة لهم بدون شريعة ، وللشريعة رجالها ومراتبها .. وان

كانت في واد اخر .

ابراهيـــــم والدولة في حاجة للجند .. وامتهان بعضهم امتهان للكل .

الحنفـــــي واذا قتلت اقرب الناس اليك لم يطمئن أحد ان الجاه من متممات الملك وأصحاب الجاه ملاذ للناس (يرجع سعد مسرعا وبيده محفظة الدواء فيسلمها الى مراد .. يعالج عينيه ثم يفتحهما شيئا فشيئا للتأكد من صحة بصره) .

مـــــراد آهاه ... تألبتم علي جميعا وأنتم اصفيائي ... اني أعلم علم اليقين الآن انكم لا تقرون أفعالي. الفرصة أفلتت .. نعم لقد كنت أعمى منذ حين .. أعمى هل وعيتم الأمر الآن ؟ .. أعمى هل فهمتم ؟ .. كنت فريسة عزلاء ترونني ولا أراكم .. وقلوبكم ملأى بالغضب .. ومن يدري لعلكم كنتم تنساقون مع الغضب لقتلي وأنا بينكم أعزل ؟ .. اعمى .. كنت أعمى ولم تشعروا بشيء .. سبحان الذي طمس على قلوب المبصرين .. آه .. آه .. (يضحك بانفعال مقهقها وهو يتجه الى الباب) أعمى .. سبحان الذي طمس على قلوب المبصرين .. (يخرج ويتبعه حموده والحنفى وحسين وسعد وعلي ، وذراع كل منهم ممدودة الى مراد في حركة توسل) .

الموقف الثالث يسمع خارج القاعة صراخ امراة: اين هو ؟ وعند الباب يلتقي مراد بابنة عمه وهي مهاجمة له في حركة جنون فيرجع مراد متقهقرا وتتبعه امينة صارخة ويجمد الباقون في مواقفهم.

أمينـــــة أتضحك يا مراد ، والدموع من عيني سواكب ؟ اتضحك يا مراد والحرقة تذيب كياني ؟ اتضحك والزمان سلمني بسيفك للشقاء ؟ اتضحك وأروقة القصر ترجع اصداء اللوعة والاسى ؟ اتضحك وتسعد وتزهو انت واشقى أنا ؟ .

مـــــراد أمينة .. أمينة .. اسمعيني

أمينـــــة لا يا مراد .. دم الزوج الذي هرقته اليوم سوف يلوث وجهك البشع ابدا .. فقد كان قلب زوجي ينبض بالحياة التي تخشاها انت ونحبها ... وروحه اليوم تستصرخ الحق الذي ابيته وتستجير بالله لينزل بك الويل . اين بنو مراد لينزلوا الويل بالطاغية السفاح .. اين آل عثمان لينزلوا الويل بالظالم سفاك الدماء ؟ اين رجال الدولة ليقتلوا عدو الحياة ؟.

مـــــراد أمينة .. لوعتك مشروعة ولكنك لم تفهمي السبب .

امينـــــة (تنفر منه) دعني .. اتركني ودموعي ولا تفسد علي لوعتي بالاشفاق.. دعني ولا تسلب مني حق البكاء والرثاء .. اني ألم شتاتي واحزم نقمتي حتى ارى فيك عدو سعادتي .

مـــــراد (يمسك بذراعيها ويضطرها للجلوس لتهدئتها

فتجلس وتسترسل في مناجاتها) ابكي .. ابكي .. ان شئت .

امينـــــــة حملت بنا ارض الشقاء ، وهيأتنا للبلاء . دفعت بنا نحو الظلام السائد في عهدك ، كتبت لنا نحن الاسى ارثا محبسا بين الورى .. قذفت بك كي تهرق من سيفك الأعمى الدماء .. جمعت لك كل الخطايا وافردتك حاملا في ربوعنا غدر الأفاعي ورحيق سم العقرب ، متجبر قاسي الفؤاد .. معرض عن فرحة العيش الطروب وعزة الحب النقي .

(مراد لا يتمالك من الانفعال فيضجر ويقصد الى الباب مسرعا ووراءه سعد وعلي .. وعندئذ تقفز امينة مخاطبة في غضب مرادا ولاحقة به) عش يا مراد لتشهد البغى الذي اسرفت فيه ، يستنزف منك الحياة ويسرف. أمّا انا فلسوف أبقى — حية أو ميتة — برهان حق قائما في وجهك (تخرج بدورها ويتعالى النحيب خارج القاعة .. الحنفي وحمودة ينظران بعضهما لبعض ثم يهزان كتفيهما ويلحقان بمراد .. حسين وابراهيم يتناظران في صمت ثم يخرج حسين مسرعا) .

الموقف الرابع : يستعد السهيلى لمغادرة المكان وعلى وجهه وحركاته علامات الكآبة واليأس .

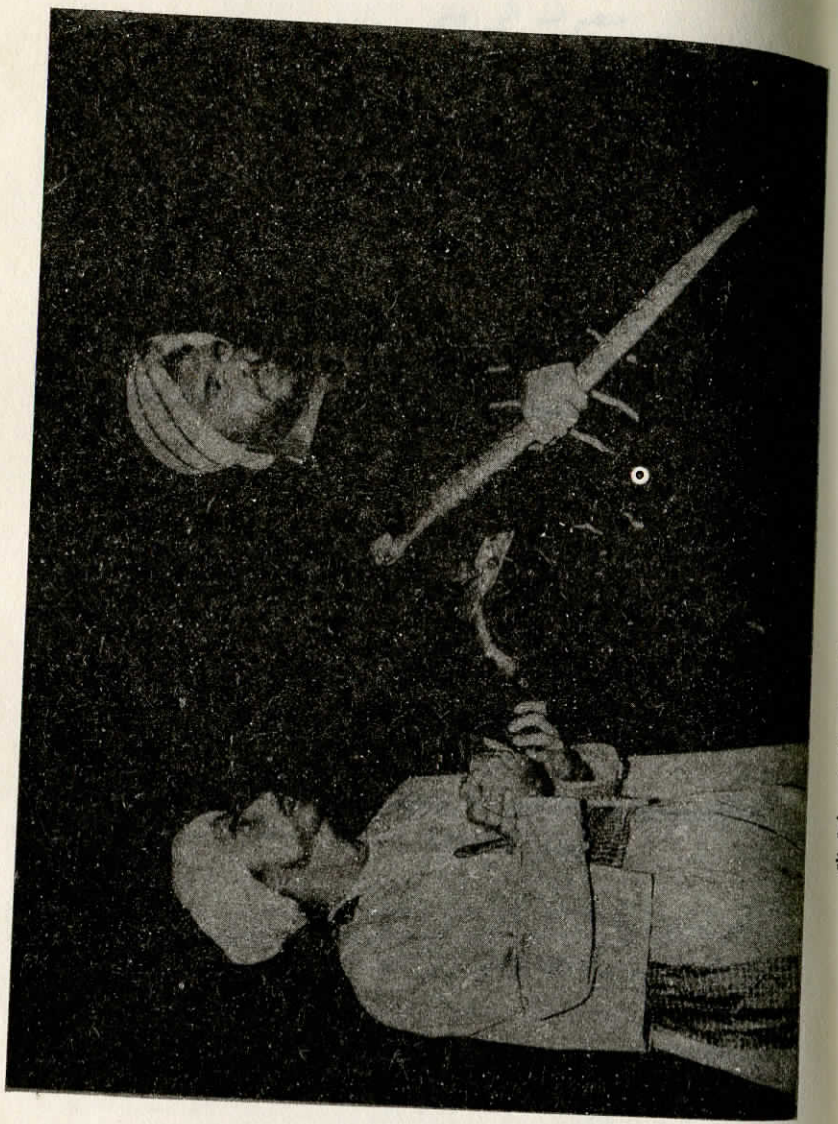

مراد : لا يا حمودة ... دعك من الخرافات انك لا تفهم لغة القدر .

السهيلـــــى لم يعد في هذا المكان يطيب المقام .. أنا منصرف الى بيتي .

ابراهيـــــم وأنا منصرف الى تهيئة ارتحالي (يخرج السهيلى من الباب الذي خرج منه مراد ومن تبعه وتدخل فاطمة من باب آخر)(14) .

فاطمـــــة سيدي ابراهيم .. هل علمت ما جرى لزوج أمينة .

ابراهيـــــم نعم .. علمت بعد فوات الاوان .

فاطمـــــة ماذا نصنع بعد هذه المصيبة ؟ .

ابراهيـــــم لا شيء يجيي الموتى .

فاطمـــــة لو امهلنا لكنا نرده عن رأيه ولكنه اجرى السيف مجرى الغضب سريعا .

ابراهيـــــم لقد كان أملى معقودا على زواجه ولكنه قد زال .

فاطمـــــة انت تعلم اني سعيت أن أكون له زوجه فلم يرض .. أردت أن أحيطه بالافراح فكان كلما جمعت له المغنين والعازفين تذكر مزهود المغنى ونفر .. انه لم يعش مثل الناس ولم ينشأ مثل الناس ..

ابراهيـــــم اخلاصك له يزينك .. ولكن الناس لا قدرة لها للعيش مع مثله .

---

(14) اذا استعمل المخرج وصيفة ، تدخل الوصيفة هي الاولى طبعا مشيرة الى ابراهيم بالبقاء .

فاطمـــــة لقد عجزت عن فهم دائه .. انه ليس مجنونا اذا تحدث ومال للحياة .. انه يلبس ويأكل ويشرب الخمر ويضحك مثل سائر الناس . ثم .. لا أدرى ما ينتابه من ...

ابراهيـــم جنون ... ان افعاله افعال مجنون ..

فاطمـــة كأن له منطقا ليس منطقنا .

أبراهيـــم لقد فاضت الكأس الآن .. ماذا تريدين ؟ .

فاطمـــة لقد قلت لي يوما : اننا نستطيع انقاذه انا وانت .

ابراهيـــم فاضت الكأس الآن ولم يعد لي امل فيه .

فاطمـــة انك تستطيع ان تحميه .

أبراهيـــم لقد بذلت كل ما لي من قدرة ... لن احميه من عائلته ومن الجند ومن الحاشية ومن رجال الشرع ومن رعاياه .. انه لم يترك جماعة لم يعمل فيها سيفه .

فاطمـــة انه لم يقتل الا اصحاب ذنب .

ابراهيـــم لقد قتل أكثر مما تحتمله الناس .

فاطمـــة ان الامراء قبله قتلوا في الحرب المئات والآلاف .

ابراهيـــم لكن مراد قتل كل نظام اذ امتهن كل فئة ورهط وكل أصحاب الجاه والمجد .

فاطمـــة الا يمكن ان نحميه منهم ؟ .

ابراهيـــم كان علينا ان نحميهم منه .

فاطمـــة ان مراد ابن خالي ... اريد ان احميه هو .

ابراهيـــم قلت لك : فاضت الكأس ولا أمل .

فاطمـــة هل نقضت العهد ؟ .

ابراهيـــم لم انقض عهدا ولكن العهد فرط منى .. لقد التزمت بحماية امير من الناس لا حمايته من نفسه وهو اليوم رهن اعماله وسلوكه (يدخل محمد خوجة الاصفر فيكتشف سيده وفاطمة فيتسلل في هدوء الى الباب دون ان يتفطنا له) .

فاطمـــة انه أراد أن يعيش بالحق .

ابراهيـــم الحق ؟ الحق لا معنى له اذا صار ضد جميع الناس .

فاطمـــة هل زالت من قلبك كل شفقة على مراد .

ابراهيـــم انه لم يترك لي فرصة العلم بضياعها .. فقد قرّر ارسالى الى استانبول .

فاطمـــة استانبول ؟ لماذا ؟ .

ابراهيـــم نعم .. لتعبئة وجق جديد من الينتشرى .

فاطمـــة ارى من سخريتك انك تستخف بالامر ؟ . هل أنت راحل حقا ؟ .

ابراهيـــم وهل لى ان ارفض السفر ؟ .

فاطمـــة سافر اذن ولا تعد .

ابراهيـــم ان في ذلك غاية ما ارجو ... لكنه فرار ولا شهامة .

فاطمـــة تلك هي غاية المروءة .. بعد ان .. فاضت

الكأس كما تقول (تتجه الى الباب الذي دخلت منه ثم تتوقف) سوف احميه وحدى (تخرج ويتسلل محمد خوجة الأصفر في هدوء) .

الموقف الخامس

ابراهيـــــم لن أعود ..؟ لن أعود ..؟ الامر بيد السلطان ..؟ .

محمد خوجة الامر بيدك انت .. مولاى .

ابراهيـــــم (يلتفت ويكتشف كاتبه) بيد الاقدار .

محمد خوجة (متحمسا) ان تعطش مراد للدماء لن يروى من شيء . وجوعه الى رؤوس سراة القوم لن يشبعه قتل .. وقد ملت الناس .. وكلت العسكر .. وضجرت الحاشية ... وصارت البلاد ثمرة ناضجة لمن يريد قطافها .

ابراهيـــــم تتكلم يا محمد عن البلاد كما لو أن الامر بات رهن طعنة خنجر .

محمد خوجة لقد قدم كبار الضباط الى القصر للاجتماع بك .. ان الفتك بمراد عسير حقا طالما انك باش حامبة .. أما بعد سفرك ..

ابراهيـــــم اسمعت بعد بسفرى ؟ .

محمد خوجة وهل يخفى على شيء في هذا القصر ؟.

ابراهيـــــم اسمع يا محمد سأسافر واستبقيك انت هنا .

محمد خوجة وفيم السفر ؟ هل مازلت وفيا لمراد بعد كارثة

اليوم ؟ (يدخل مصطفى قاره متسللا ولا يتفطن له ابراهيم) .

ابراهيـــــم لا بد من السفر ... ابق هنا .. وأريد ألا يخفى عنك شيء وأن توافيني باخبار البلاط كيفما يتفق لك طوال غيابي، واعمل ما في وسعك لمنع اي محاولة تآمر وكيد .

مصطفى قاره هذا صعب .. وفوق ما يطيق العسكر والناس .

ابراهيـــــم وانت ايضا (يتجه اليه ويمسك بتلابيب قفطانة) أتظن أنى مغفل ؟ لقد فهمت كل ما وقع الم تفهم انك أنت وأصحابك قد أخطأتم باثارة الجند وتوريط احمد زوج أمينة ؟ انكم لا تستطيعون العيش الا في كنف المكائد .

مصطفى قاره (يتخلص من قبضة ابراهيم وهو متكدر من انكشاف امره) المكيدة الكبرى هي التي سلطت علينا مراد أميرا . ماذا ينتظر منا ؟ ان نهيء اعناقنا لسيف الجلاد ؟ لقد ادركنا قصده من اول يوم وحاولنا تحديد جنونه بكل حيلة فلم ننجح ولم يبق لنا اليوم الا أن نتخلص منه .

ابراهيـــــم ومن ترون مكانه ؟

مصطفى قارة أنت .

ابراهيـــــم انك اخبث من الشيطان الرجيم .

مصطفى قاره اذا كنت لا تصدقني (يتجه الى الباب ويشير الى

من همّ بالدخول فيدخل الآغه محمد اغلو، وآغة ديوان وآغة القصبة) اسألهم .

ابراهيـــــم لا حاجة لي بسؤال احد .. أنا امرؤ اذا وعدت وفيت ، وعهدى مع مراد لم ينقطع بعد .

محمد خوجـة استمع اليهم مولاى .. اسمع قولهم ثم قرر ما شئت .. ان الآغه محمد اغلو قائد فرق الينيتشرى وآغه القصبة أمير أكبر قشلاق وآغه الديوان رئيس دايات العسكر ومصطفى قاره من اكبر الدايات . (ابراهيم ينظر اليهم جميعا واحدا واحدا وكأنه يختبرهم) .

آغه محمد آغلو لا طاقة لنا بتحمل مراد بعد اليوم .

آغـة القصبـــة بيدك انت ... يا آغه ابراهيم .. شرفنا .

آغة الديـــوان اذا رفضت دعوت ديوان العسكر للنظر في أمر مراد واختيار من نوليه مكانه .

ابراهيـــــم انكم مقبلون على أمر عظيم .

آغه **محمد آغلو** ليس أعظم مما نحن فيه من هوان .

ابراهيـــــم انا لا أشك في شجاعتكم ولكنها ستكون حربا أخرى .

آغة الديـــوان على من ؟ لم يبق لمراد نصير .

ابراهيـــــم لم يبق له نصير من بينكم انتم .. اما في البلاد فان قبيلة امه تستطيع أن تحميه ، وكذلك المدن التي ناصرت اباه .. اسمعوا .. ان ما

عزمتم عليه أمر عظيم ولا نجاة لكم منه الا بالتوفيق الكامل والتأييد السلطاني .

مصطفى قـاره ان شعورنا بعظمة الامر هو الذي دعانا الى طلب قيادتك انت لنا .

محمد اغلـــو اننا نضع انفسنا وعساكرنا تحت امرتك .

ابراهيـــــم لن اقبل هذه القيادة الا اذا تعهدتم بالطاعة المطلقة .

آغـة القصبـــة لك ذلك (يومىء الاخرون برؤوسهم اقرارا بالطاعة) .

ابراهيـــــم اول ما آمركم به هو الا تقدموا على اى شيء يكون فيه للبلاد الوبال ولكم الويل . حافظوا على امتثال جنودكم وانتظروا عودتي من استانبول . (ينظر بعضهم الى بعض وكأنهم وقعوا في فخ ويمضى ابراهيم في كلامه غير مكترث باحتجاجهم الصامت) أعاهدكم ان مولانا السلطان سوف يحاط علما بكل ما جرى في هذه البلاد وعليه أن يقرر ما يشاء .

محمد اغلـــو وانت ماذا تقرر ؟ .

آغة الديـــوان لقد وضعنا اعناقنا بين يديك .

ابراهيـــــم انا معكم في خدمة السلطان مولانا أو ضدكم بامره الشريف .

مصطفى قاره ما معنى هذا ؟ .

ابراهيـــــم معناه اني سأكون زعيم الثورة ضدكم اذا اخلفتم عهدى ولم تنتظروا أمر مولاى .

الموقف السادس : المنظر لا يتغير .. الوقت ليل .. قاعة العرش خاوية .. يدخل مراد وهو يتجول وحده .. يطوف بالقاعة وهو ينظر الى جدرانها وسقفها واريكة الحكم .. يزداد الظلام حتى يصبح دامسا ادهم تسمع همهمة خافتة وهتافات على انغام غريبة ثم تتصاعد الهمهمة وتصير انشادا واضحا وهتافا مفهوما وترنيمة تقليدية ويعود الضوء باهتا فاذا اشباح تحيط بمراد من كل جانب .. على اريكة الحكم وبجانبيها وورائها وبجانبي القاعة ويتضح المنظر شيئا فشيئا الشبح الجالس على اريكة الحكم بيده رأس ويقول في توجع رتيب .

رمضان بـاى انا رمضان ... رأسى يا مراد .. رأسي يا مراد .. ارجع رأسي في مكانه يا مراد . (مراد يقف مبهوتا لا يقدر على النطق يمد ذراعه نحو الاريكة ويتقدم خطوة واذا شبح بجانبها يتقدم ومعه ثلاثة أشباح).

مزهـــــود مراد يومك يوم الذل والالم .. يدنو ولن تدفع الاقدار بالندم عود لمزهود يرنو للملائكة .. وقد أتت لحساب صارم الحكم (ينشد مزهود أغنية على نغم «البردة» ويردد اصحابه نشيده ... يتأخر مراد ليعود الى حيث كان فاذا الاشباح وراءه تتقدم اليه وفي مقدمتها شبح يحمل شال الائمة وهو يردد) .

ابو الغيث البكرى الله .. الله .. الله .. الله .. (يتأخر مراد في الاتجاه المقابل بينما يبرز من وراء الشيخ البكرى شبح آخر يحمل شال الافتاء ويردد) .

المفتى العوانى رحمان يا رحمان هذا عبدك . واليوم يا رحمان قاصد حكمك

(يهرب مراد الى الناحية الاخرى من الغرفة فيتقدم صف الاشباح الواقف هناك مرددا) .

العســـكـــر الله يهلك سيدنا .. الله يهلك سيدنا . (يجد مراد نفسه في وسط الاشباح كل منها ينشد أنشودته أو هتافه بلهجة متصاعدة ويقتربون منه وكلما ازدادوا منه قربا ازداد الظلام دمسا دون أن ينقطع الانشاد بل يزداد سرعة وخفة وتنطلق من حنجرة مراد صيحة فزع مدوية ، وتضاء القاعة على نحو ما كانت عليه عند دخوله ، ويتردد صدى صيحة مراد في اروقة القصر فيسمع ركض ويدخل حمودة وهو يسوى عمامته فوق رأسه ووراءه سعد وهو يلبس صدريته وعلى يشد شملته حول حزامه فيجدون مراد طريح الارض) .

الموقف السابع

حمـــــودة سيدي ... سيدي ... ماذا جرى ؟ .

سعـــــد ما بك سيدي ؟ لا بأس ؟ .

الحـــــراس سيدنا .. سيدنا .. (على يومىء مثلهم سائلا يقف مراد فينظر حواليه فلا يرى شبحا) .

مـــــراد آه ... انت ؟ .. وانت ؟ .. آه .. ماذا جرى ؟ .

حمـــــودة سمعت صيحة فزع ففزعت .

مـــــراد آه ... هي العاصفة .. لقد غفوت لحظة .

حمـــــودة العاصفة .. اي عاصفة ؟.. لم تكن هناك عاصفة ولا ريح .

مـــــراد حينئذ كان حلما .. حلما مزعجا .. انه كان مزعجا يا حمودة .

حمـــــودة سيدى عد الى فراشك وسنبقى معك ... ان الفجر لم يطلع بعد .. استرح . استرح .

مـــــراد استريح . أنا .. وهل لي ان استريح .. وانى لي ان استريح .. هكذا كتب لي ان اعيش صغيرا ويافعا وكهلا .. سجينا وأميرا .. لا راحة ولا اطمئنان ، مضطهدا من الاحياء والاموات .

حمـــــودة الأموات ؟ .. اي اموات .. تعال استرح سيدي وانس اتعابك .

مـــــراد وهل التعب يا حمودة الا من نصيبي .. عشت يتيما .. عشت مشردا .. تلقفتني يد القدر رضيعا كانت ميادين القتال مسقط رأسي ... تعلمت احبو بين أرجل جند ابي .. شهدت

واقعة الكاف وانا صبي ، ورأيت فيها اشلاء انصار والدي تتطاير فوق براميل البارود المتفجر اشلاء فرج طرحان ، وابن موسى خزندار ، ورأيت الدم يسيل غزيرا من مصطفى صبنيول وقد ذبح نفسه حتى لا يقع بين ايدى الاعداء ... لقد كانوا اوفياء لوالدي في نصرتهم له ... رأيتهم بعيني ولن أنساهم . اليس الشقاء من نصيبي حتى قبل ان يقيدنى عمى في سجنه يا حمودة ؟ .

حمـــــودة تعال استرح سيدي لقد ازعجك الحلم .

مـــــراد دعني ... دعني .. دعوني وحدي (يشير اليهم جميعا بالخروج فيخرجون ويبقى حمودة) لا .. حمودة .. دعني وحدي .. اني لست متعبا (يخرج حمودة وهو يلتفت الى مراد .. يتجه مراد الى اريكته ويتلمس ستائرها وهو يقول) الى اين ذهبوا ؟ الى اين ؟ انه حلم .. حلم كأنه الحياة .. رأيتهم وسمعتهم . يضحكون وينشدون .. يهزؤون بي . (يجول في القاعة) من ارسلهم الى ؟ من ؟ .. أهو الشيطان عبث بعقلي ام ان الحس ضاع مني ؟ ليتهم كانوا احياء لرأوا حد السيف يقطع الافك والرياء .. لقد اراد القوم أن اقتل أصحاب رمضان باى ولا أطيل تعذيبهم فقتلتهم ... انهم يرفلون

اشباحا في ثوب الطهارة الابيض والطهر عنهم بعيد ... من ارسلهم الي ؟ .. ولماذا تجمعوا حولى ؟ أليعلموني اني سأموت يوما ؟ .. اني اعلم علم اليقين ان الاعداء يحيطون بي وان كل من حولي يكرهني ... ولكني لست نادما على ما فعلت .. لقد اردت ان اكون امير الحق والعدل .. ان العدل في تعقب المجرمين والاشرار وكانوا كلهم اشرارا .. لم اجاز احدا بغير ذنبه .. لم احرض احدا على الأذناب .. كنت انا ضحيتهم قبل ان افدى بهم ثأر الحق ... أليس القدر هو الذي اختارني سيفا للانتقام للحق المداس والحرمات المنتهكة ؟ ألم يستغث المفتى محمد فتاته برسول الله لينتقم له من الذين قتلوا ابنه ؟.. وهل كان الثأر على غير يدى انا ؟ ألم ير كل الناس في ذلك آية القدر المحتوم ؟ . ما للناس ينكرون على اليوم ما فرحوا به أمس .. انهم كانوا يتوقعون منى القصاص من فئة دون فئة ، ومن وحش الناس لا من الوجهاء .. نعم ... هذا الذي ساءهم منى .. فتألبوا علي جميعا الاحياء منهم والاموات .. الاحياء في اليقظة يتربصون بي الشر .. اقرأ مصيرى في عيونهم وفي جبنهم وخنوعهم كلما امسكت بمقبض سيفى

ارتعدت لهم الفرائص ذعرا ... أما الأموات فانهم يدعونني للالتحاق بهم كأن لهم في الاستئناس الى رغبة .. اني اطالع اليوم ، على صحائف وجوههم جميعا أن الاجل قريب

(يدخل حمودة ولا يراه مراد) كأن الصراع الذي خضته ضد الباطل قد أشرف على النهاية ، وكأن الحق الذي سخرني له القدر واختط سيفى له في الرقاب طريقا اصبح في غنى عن سيفي . ان السماء قبضت عني رحمتها . وها هو الاجل يقترب (يقترب حمودة بخطى ونيدة ويمضى مراد وكأنه يتحدث عنه) يقترب .. يقترب .. يقترب منى ولا يرهب سيفى .

حمـــــودة سيدي ... سيدي ... بالله عليك ...

مـــــراد (مزمجرا شاهرا سيفه) لن استسلم للاقدار .. لن استسلم لها وقد بعتها نفسي حين أخرجتني من المحبس .. لن اترك لانصار الخداع والخيانة والمكر والغدر سبيلا في الحياة .. لن استسلم واترك لهم سلطانا علي وعلى البلاد ... سوف يدركهم سيفى قبل ان يدركوني .. سوف أقذف بهم الى الجحيم قبل أن تمتد يدهم الي ... وليقولوا ما شاؤوا .. وليقولوا : اني مجنون .. ليقولوا اني فقدت صوابي .. ان لي مع الحياة حسابا وسأمضى في طريقى الى النهاية

.. الحساب ... الحساب ... الحساب ..

حمـــــودة سيدي ... اني اتوسل اليك بالله كي تسمعني ... سيدي ...

مـــــراد (يثوب الى الرشد ويتفطن لوجود حمودة) مالك يا حمودة .

حمـــــودة هلا أخذت نصيبا من الراحة قبل الصباح ؟

مـــــراد (يمسك بذراع حمودة ويقوده الى باب الغرفة الذي يتسلل منه ضوء الفجر) انظر حمودة ... ما هذه الحمرة في الأفق ؟ .. ما تلك القطرة الحمراء ؟ .

حمـــــودة سيدي انها ليست قطرة حمراء .. انها الشمس تطلع علينا بيوم جديد .

مـــــراد لا يا حمودة .. انك لم تفهم بعد لغة القدر .. انها دمعة من دم تسكبها السماء على ارض اللعنة .

حمـــــودة سيدى انه طلوع الفجر .

مـــــراد لا يا حمودة .. دعك من الخرافات .. تعال نتفقد الجند في ثكناتهم .. سوف نرحل الى الحرب عاجلا (يخرجان) .

المنظر الرابع : قاعة اخرى بالقصر تغلب على مظهرها الستائر .. الوقت صبح .

الموقف الثامن : أمينة ترتدى عباءة طويلة (قفطان نساء

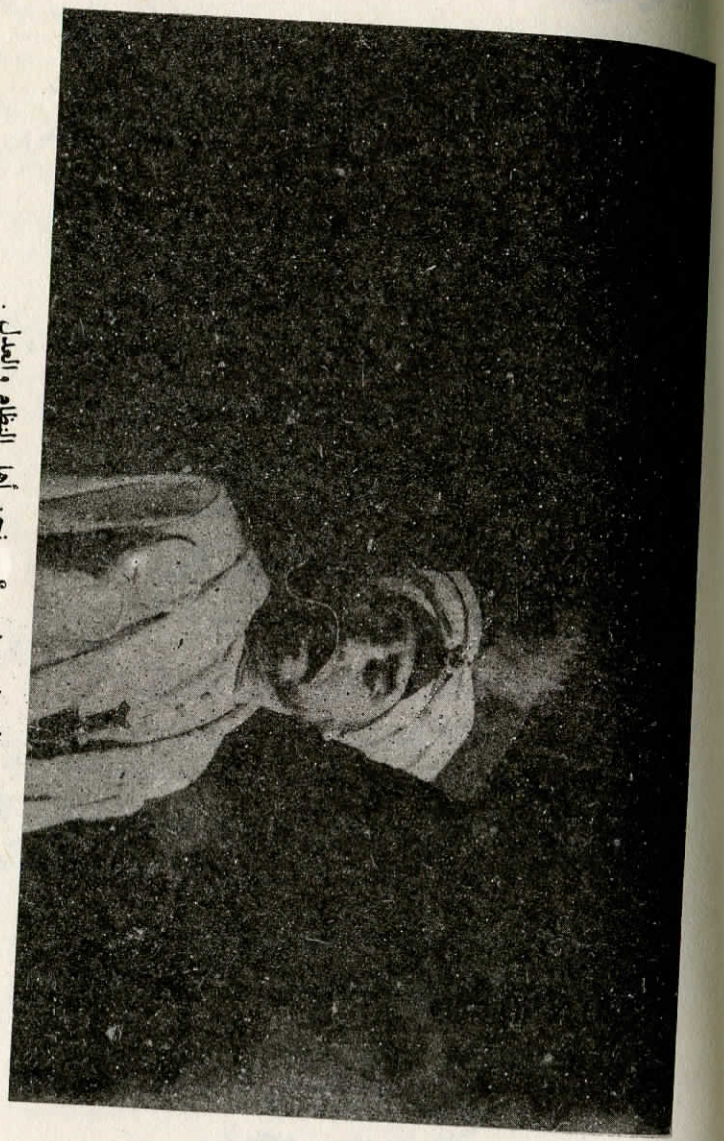

ابراهيم الشريف : نحن ؟... نحن أهل النظام والعدل .

ادكن تنهى صلاتها بالدعاء وتدخل فاطمة اثناء الدعاء) .

أمينـــــــة اللهم اياك نعبد ... ولك نصلي ونسجد ...
واليك نسعى ونحفد ... نرجو رحمتك ..
ونخاف عذابك الجد .. ان عذابك بالكافرين
ملحق .

فاطمـــــــة تقبل الله .

أمينـــــــة تقبل منا ومنك الأعمال الصالحة .

فاطمـــــــة (تضع يدها على كتف أمينة) كفي عن البكاء يا
أمينة ان عينيك احرقتهما الدموع .

أمينـــــــة وما أملك غير البكاء والنواح ؟ .

فاطمـــــــة الصبر .. يا أمينة ... الصبر ..

أمينـــــــة لو جفت عيناى لاشتعل قلبي غيظا .

فاطمـــــــة هل فقدت كل محبة لمراد ؟ .

أمينـــــــة ما له من حق المحبة على بعد الكارثة التي
انزلها بي .

فاطمـــــــة ان الناس في القصر يوغرون قلبك ضد مراد .

أمينـــــــة ما بي حاجة الى ان يوغر صدرى احد .. لقد
فعل مراد ما لا تستطيع أن تفعله نميمة أهل
القصر مجتمعين .

فاطمـــــــة انه ابن عمك ...

أمينـــــــة ولو .. هل تذكر هو انه ابن عمي عندما جن
جنونه فقتل زوجي ؟ .. هل بيدى حيلة اذا
كان ابن عمي مجنونا .

فاطمـــــــة انه ليس مجنونا .

أمينـــــــة مجنون .. مجنون .. مجنون ..

فاطمـــــــة انه صار يتصرف في الملك كسائر الملوك ..

أمينـــــــة مجنون .. مجنون .. مجنون ...

فاطمـــــــة لقد انشغل بالحرب ولم يعد مشغولا بالناس .

أمينـــــــة مجنون .. مجنون .. مجنون .. مجنون اراحنا الله منه .

فاطمـــــــة لا تدعى عليه . ادعى له بالشفاء .

أمينـــــــة لو كان الدعاء يجدى لدعوت له قبل موت زوجي ، أما الآن .. فلا فائدة في الدعاء وليقض الله بما يشاء .

فاطمـــــــة زوجك ؟ ولكنك لم تعاشريه الا أياما .. ومراد صديق الصبا .

أمينـــــــة أبكي الزوج .. وأبكي حياتي التي ضاعت معه .

فاطمـــــــة انك مازلت في مقتبل العمر ، شابة وأميرة .

أمينـــــــة وما شأني والامارة اذا كان حظي معها دما وشقاء ؟ .

فاطمـــــــة ان خلاص مراد خلاصنا .

أمينـــــــة خلاصك أنت ... ربما .. أما أنا ...

فاطمـــــــة ماذا ؟ قولي لي أمينة بربك ؟ .. هل انتهت صداقتنا ؟.. هل انتهت محبتنا الرائعة ؟ .

أمينـــــــة لم يكن مرادنا واحدا في الحياة يا فاطمة .

فاطمـــــــة هل انقطع بيننا الود ؟ .. تماما ؟.

أمينـــــــة (تنهار باكية على كتف فاطمة) ربي .. ربي .. ماذا جنينا . حتى تبلونا بهذا المجنون ؟ ربي .. ربي . (يدخل ابراهيم كأنه يبحث عن احد فيرى الفتاتين وتتفطن لوجوده فاطمة فتدفع عنها أمينة) .

فاطمـــــــة انت ؟ عدت ؟ كيف وصلت الى هنا ؟ ولماذا عدت ألم أطلب منك الا تعود الى تونس ؟ .

ابراهيـــــــم هل كنت تطلبين منى كيف أدخل الى القصر قبل سفرى ؟.. لقد عدت بأمر من مولانا السلطان .

أمينـــــــة الحمد لله على سلامتك سيدى ابراهيم .

فاطمـــــــة ما للسلطان وشأننا .. لقد كان بيننا اتفاق .

ابراهيـــــــم (يخاطب أمينة ويتجاهل فاطمة) جئت لاطمئن على حالك يا أمينة .. انى لم أنس مصابك وأنا في استانبول .

أمينـــــــة ايه .. ايه .. ما ابعد المسافة بيننا وبين استانبول .

فاطمـــــــة اني طلبت منك البقاء هناك فلم ترفض .

ابراهيـــــــم لقد فات زمان اللوم .

أمينـــــــة فات زمان كل شيء ، زمان المحبة وزمان السعادة ، فات الزمان .

فاطمـــــة وبماذا عدت ؟

أمينـــــة (تمسك بذراع فاطمة) بالخير .. بالخير يا فاطمة .

فاطمـــــة انك لم تفهمي شيئا (ثم تخاطب ابراهيم) لماذا عدت ؟ .

أمينـــــة (تخاطب ابراهيم مستفسرة) من رأيت في استانبول وبمن التقيت ؟ كيف عيش البلاط هناك ؟ والأمراء ؟ .

ابراهيـــم عيش رغد برعاية مولانا السلطان وقد حظيت بالمثول لديه وأعطاني أمرا .

فاطمـــــة وبماذا أمرك ؟ .

ابراهيـــم (ساخرا مكشرا في ابتسامة هزؤ) بما فيه خير البلاد والعباد .

فاطمـــــة ما شأن هذه البلاد والسلطان . انها ليست تركية ؟ ..

أمينـــــة (في شمم واباء) اننا اتراك ندين للسلطان بالولاء .

فاطمـــــة ابراهيم .. ان مرادا لم يبعث بك الى السلطان لاستشارته ، بل ارسلك الى استانبول لتجنيد العسكر .

ابراهيـــم وقد جندت العسكر، وها هم لاحقون بي .

فاطمـــــة قد نفذت اذن ما طلبه مراد ؟

ابراهيـــم نفذت .

فاطمـــــة ولم تخدعه .. الحمد لله (تتنفس الصعداء وتنشرح اساريرها .. ينظر ابراهيم اليها ويهز كتفيه ثم يخرج .. وتنظر امينة الى فاطمة في اشفاق) .

أمينـــــة تريدين انقاذ مراد من نقمة الناس والقدر .

فاطمـــــة اني على يقين أن الخطر محدق به في كل لحظة .

أمينـــــة لقد قصد الى محاربة الاجوار والخطر في الحرب لازم .

فاطمـــــة كنت أود أن أعيش بجانبه هناك في المعسكر (يدخل حسين بن علي مسرعا) .

أمينـــــة أنت . أنت تجرؤ على الدخول الى هنا ؟ .

فاطمـــــة أهلا بك سيدي حسين .

حسيـــــن لقد أولاني سيدنا خلافته في غيابه الا تعلمين يا أمينة ؟ .

أمينـــــة أولاك سيدك خلافته في الحكم لا في القصر .

حسيـــــن (مخاطبا فاطمة ومتجاهلا أمينة) بلغني أن ابراهيم الشريف كان هنا ، وقد قضيت الليل ابحث عنه منذ علمت بوصوله .

فاطمـــــة نعم وقد غادر القصر الآن لا ريب .

أمينـــــة (هازئة محقرة) عيون الكيد لايثقلها الكرى .

حسيـــــن للا أمينة لست .. هازئا .. لقد علمت ان لابراهيم صلة مريبة مع كبار الجند . وأنا عازم

على منعه من السفر الى معسكر مراد حتى اعلم حقيقة الامر .

فاطمـــــة (يتملكها الخوف) لم يكن حدسى كاذبا لقد توقعت الشر من عودته .

أمينـــــة واى شر يمكن ان يلحق مرادا بعد أن تجمعت فيه كل الشرور .

حسيـــــن ان ابراهيم يستميل الجند لغرض في نفسه .

فاطمـــــة (فازعة هلعة) أوّاه .. انقذ مراد يا حسين .. أخبره .. الحق بإبراهيم .

حسيـــــن سوف أقطع عن ابراهيم طريق المعسكر.

أمينـــــة (ساخرة) واذا كان سبقك اليه الآن ؟؟..

فاطمـــــة سوف الحق انا به .

حسيـــــن لا فائدة .. ان سيدنا أبقى الى جانبي خادمه عليا لمثل هذه الطوارى . سأرسله على اسرع جواد الى معسكر الباى .

فاطمـــــة اني راحلة معه .

حسيـــــن لا فائدة .. انك سوف تعطلينه على السير .

فاطمـــــة (تفقد صوابها وتحوم بالقاعة) لا .. لا.. سوف ارحل معه أو قبله .. لا لن ابقى هنا والخطر يركض نحو مراد .

أمينـــــة (تقبض على ذراعى فاطمة وتوقفها) هل جننت ؟ ان مكانك هنا يا مجنونة .

فاطمـــــة اتركيني .. خلى سبيلي .. انا ذاهبة توا .

حسيـــــن يا للا فاطمة .. لا محل للنساء بالمعسكر .

فاطمـــــة أعدوا لي مركبة أو جوادا .

أمينـــــة ليس من عادتنا الاختلاط بالعسكر .

فاطمـــــة افعلى انت ما شئت اما أنا فاني لن ابقى هنا .

حسيـــــن حسنا .. حسنا .. ساعد لك مركبة وتلحقين وراء على .

فاطمـــــة لا .. لن الحق به . سأذهب معه حالا .

حسيـــــن حالا .. حالا .. ؟؟ .

أمينـــــة ما هذا الجنون الذي انفجر .

فاطمـــــة اعطوني جوادا ولا شأن لكم بالباقي (نخرج مسرعة ويلحق بها حسين مسرعا وتشير أمينة بذراعها في هزؤ كأنها تودعها) .

المنظر الخامس : معسكر مراد .. خيام حرس .. خيمة مراد في المقدمة بينما تتراءى من بعيد خيام الضباط والجند .. مدفع أمام الخيمة ، ومدفع آخر بعيد عنها . ضجيج المعسكر يسمع عن بعد الوقت رابعة النهار .. الفصل ربيع .

الموقف التاسع : اربعة من علماء الشريعة يتهامسون أمام خيمة مراد لكن على بعد منها .. يصل محمد خوجة الاصغر فينظر اليهم ويبادر بمخاطبتهم .

محمد خوجة لقد تجمعتم هنا .. حسنا .. حسنا ..

عالـــم أول لماذا دعانا سيدنا الى هنا ..؟ وماذا تقصد أنت ؟ .

عالم ثان لقد جاء رسله الى ديارنا طالبين السفر فورا .

عالم ثالث لعله يريد أن يشركنا في حربه .

عالم رابع واي حرب ؟.. انه خرج للجباية لا للحرب .

عالم ثالث الم تعلم انه يقصد في الحقيقة محاربة داى الجزائر .

عالم اول وما هو ذنب داى الجزائر ؟ .

عالم ثان الامراء لا يسألون عن دواعي الحروب .

عالم ثالث لقد استجاب سيدنا الى طلب مولاى اسماعيل سلطان الغرب مثلما استجاب محمد باي من قبله .

محمد خوجة الحرب والسلم بايديكم اليوم .. في البلاد .. وخارجها .

عالم ثالث في ايدينا نحن ؟ وما حيلتنا ؟ .

عالم أول وما هو حظ بلادنا من هذه الحرب ؟ .

عالم رابع وهل يستقر الحكم .. يا شيخ .. بدون حروب ؟ .

عالم ثان انها يا شيخ اذا لم تكن حربا على داى الجزائر كانت حرب داى الجزائر على باي تونس .

عالم أول ان الله نهى المسلمين عن محاربة بعضهم بعضا .

عالم رابع اذا لم ينشغل الامراء بالحرب انشغلوا بهلاك الرعية .

عالم أول لكن .. اذا انشغلوا بالحرب كان المصاب على

الرعية في مالها وابنائها أثناء الحرب وبعدها .

عالم ثان تلك سنة الحكم ولن نملك لها تبديلا .

عالم رابع هذا كله يبتعد بنا عن سؤالنا : ان هذه السنة لا تبرر دعوتنا الى المعسكر .. نحن رجال علم لا رجال حرب .

محمد خوجة اطمئنوا .. اطمئنوا .. الحرب ليست شأنكم .. ودعوة الامير لكم دعوة لرجال العلم لا رجال الحرب .

العلماء آه .. ؟؟ .

محمد خوجة بلى .. انه رأى ما كنتم ترون .. ثم رأى ان يطلب منكم فتوى .

عالم ثان فتوى ؟ وفيم هذه الفتوى ؟ .

محمد خوجة فتوى لاشهار الحرب على داى الجزائر .

عالم أول اني لا اقدر على الافتاء بتقتيل المسلمين .

عالم ثالث لكن اذا رفضنا عاد الامر علينا نحن بالوبال وعلى مقام العلماء بغضب سيدنا واسرافه في امتهاننا ؟ .

عالم رابع واذا اصدرنا كذلك الفتوى حقرنا مقامنا امام الملأ .

عالم ثان انقاذ مقام العلماء باصدار فتوى أهون أمرا من عبث مراد بمقامهم في العلن بعد ان عبث به في مجالسه الخاصة .

عالم أول لكن أيها السادة .. الافتاء في محاربة

المسلمين يعرضنا للطعن ويلقي علينا تبعة الدماء .

عالم ثان وفيم ذلك ؟.. التبعة دائما على الامير .. انه في كل حال أمير المؤمنين .. وما نحن الا أهل الشورى في العلم نذكره باحكام الدين وله النظر .(ينظر العلماء الاربعة بعضهم الى بعض وعلى حركاتهم شواهد الانسياق مع هذا القول الأخير) .

محمد خوجة ها أنتم اذن على اهبة الافتاء ..؟ .

عالم ثان (في حرج) علينا ان نذكر حالات جواز الحرب ، وعليه ان يعلمنا بوجود حالة منها تجيز هذه الحرب التي يعتزم خوضها .

محمد خوجة ويكون العلماء عندئذ محل الاحتقار وينكر عليكم الناس ضعفكم مثلما انكروا عليكم شرب الخمر في مجالس مراد .

العلماء وهل ترى وجهة للخلاص أمامنا ؟ .

محمد خوجة أنا من رجال الحرب لا من رجال العلم .

عالم ثان ولو كنت صاحب قول بماذا تفتى ؟ .

محمد خوجة انا ليس لي قول .

عالم ثان قد فاتك ان الشريعة لها قول في كل شيء .

محمد خوجة ولماذا لا تطلبون الرجوع الى الكتب واستشارة سائر العلماء لتكون لكم فسحة من الوقت طويلة .

عالم أول ثم بعد ؟ .

محمد خوجة ان مرادا أهانكم .. وامتهن مقام العلماء. وعبث بمنزلتكم أمام الناس .. وانتهك حرمة رجال الدين .. وامضى سيفه في رقاب الاشراف .. الا يمكن لرجال الدين ان يثوروا دفاعا عن شرفهم .

عالم ثالث لكننا أهل علم سلاحنا الكتاب .. لا السيف .

محمد خوجة لقد كان علماء صدر الاسلام أئمة وقادة وولاة على الأمصار وأصحاب جد وحزم وتدبير .

عالم رابع انه لا حول لنا اليوم ولا قوة الا بالدعاء .

محمد خوجة لا .. ان بيدكم السلاح الذي دعاكم مراد من أجله .. اصدروا فتوى في اراحة البلاد منه وانقاذ المسلمين من ظلمه . وسيكون الجند عندئذ معكم .

عالم أول .. مهلا .. هل تحرضنا على قتل أمير البلاد ؟ .

عالم ثان لقد امرنا الله بطاعته مهما يكن ظلمه .

عالم ثالث ان الامير امير المؤمنين لا يحل لنا دمه

محمد خوجة لا .. ان أمير جميع المؤمنين هو مولانا السلطان باستانبول .

عالم ثالث وانى لنا أن نعرف رأى السلطان ؟ .

محمد خوجه مولاى ابراهيم الشريف قد حظى بالقبول لدى الحضرة الساطانية وعاد الينا بامرها .

عالم اول ابراهيم ؟ الآغه ابراهيم ؟ .

عالم رابع آه ... لعله عاد بالجيش الذي كلفه مراد بتجنيده لهذه الحرب ؟ .

محمد خوجة وكذلك بخطاب من مولانا السلطان يشمل برعايته البلاد .

العلماء الحمد لله .

عالم أول اذا امتدت عناية مولانا السلطان الينا فقد فتح الله أمامنا باب الفرج .

عالم ثان واستعاد العلماء مقامهم .

محمد خوجة والوجهاء مراتبهم .

عالم ثالث والجند ؟ .

محمد خوجة لقد مل الجند تصرفات مراد وعزموا على صيانة حرمتهم .

عالم رابع اذن تعود لكل الهيئات مقاماتها (عالم اول يشير الى زملائه بالابتعاد عن محمد خوجة الاصفر لمسارتهم فيجتمعون حوله) .

عالم أول اننا .. ايها السادة ... ننساق مع الهوى ، وننسى ان سيدنا مراد اقرب الينا بسيفه من مولانا السلطان برعايته السنية (يومىء العلماء الثلاثة الاخرون بالايجاب وعلى وجوههم علامات الحيرة... يهم محمد خوجة بالاقتراب منهم لمعاودة الكرة ولكن وصول الدايات يصرفه عنهم).

الموقف العاشر : يصل الى ساحة المعسكر ، الداى مصطفى

قارة ، الآغه محمد اغلو ، قاضى العسكر ، آغة ديوان ، آغة القصبة ، ويتجه الداى مصطفى قارة فورا الى الداى محمد خوجة وينزوي معه في ناحية بينما يسلم الوافدون على العلماء المدنيين الاربعة .

مصطفى قارة هل غادر تونس ؟ .

محمد خوجة انه لاحق بنا على عجل .. وسيصل الى هنا من حين الى حين .

مصطفى قارة لقد تهيأ الجند وضباطهم ، وهم جميعا لا ينتظرون الا اشارة .

محمد خوجة (بصوت عال) ان سيدى ابراهيم الشريف عاد بامر من السلطان .

مصطفى قارة (مثله) وبماذا يأمرنا السلطان ؟ .

محمد خوجة مولاى يؤكد أن في امر السلطان الخير كل الخير .

قاضى العسكر لقد سمعتكم تتحدثون عن الآغه ابراهيم الشريف ؟ صحيح ؟ .

محمد خوجة لقد عاد من استانبول محملا بخطاب من مولانا السلطان .

محمد اغلو خطاب شريف من مولانا السلطان ؟

مصطفى قارة واى عجب في ذلك ؟ السنا جند الخلافة .

آغة القصبة نعم .. نعم .. لكني ما كنت اتوقع ان يعنى بنا السلطان حتى يكاتبنا .

آغة الديوان والعادة الا يكاتب الا أمير البلاد .

مصطفى قارة امر البلاد فى ايدي جند الترك منذ عهد سنان باشا .

محمد أغلو قيادة كل جند الترك اليوم بيد الباي ... مراد او غيره .

آغة الديوان فقد جند الترك حرمتهم حتى صاروا يشنقون بحبل واحد .

آغة القصبة ضاعت الامور من أيدينا وعبث الزمان بنا .

عالم أول ضاعت الامور من ايديكم مثلما ضاعت من ايدي العلماء .

قاضي العسكر نعم .. نعم .. كان قاضي العسكر هو الحكم الوحيد بين جند الترك وها هو اليوم لا شأن له ولا قول ..

محمد خوجة ضاع الشرف ، وتلاشت التقاليد ، وانهارت المراتب ، وانتهكت الحرمات حتى صار العلماء يجالسون مراد لشرب الخمر .

عالم أول لكن ... كرها .. وتحت حد السيف .

محمد خوجة الموت في سبيل الله أشرف .

الموقف الحادى عشر : يصل مراد الى خيمته وهو يتابع حديثه ومعه سعد وحمودة والسهيلى والحنفى .

مراد لا بد من ان نطوي المراحل بسرعة في يوم او في يومين حتى نلتقى بجند الداى عشى مصطفى في اقرب وقت .

حمودة اذا سرنا بسرعة اتعبنا الجند .

مراد ليكن .. انه ليس شأني .. هل حضر الدايات ؟ .

مصطفى قارة (يتقدم صف الدايات) نحن رهن اشارتك .

مراد نعم .. ينبغي ان نشرع في هذه الحرب بسرعة ومهما تكن طاقة الجند .

الحنفي الا يكون من حسن التدبير ان ننتظر من مولاي اسماعيل سلطان الغرب مرسولا أو اشارة ؟ .

مراد لن انتظر احدا .. لقد وعدته بأن اضرب جند عشى مصطفى شرقا ويهاجمهم غربا .. وسيكون الامر كما وعدت وقررت .

السهيلي ان الحرب تدبير وانت صاحب التدبير هلا تنتظر وصول الجند من استانبول ؟ .

مراد وهل عاد ابراهيم ؟ .

السهيلي اذا لم يكن قد وصل فانه لن يتأخر الا اياما معدودة .

الحنفي اني علمت انه وصل الى تونس ولعله في طريق الالتحاق بنا (ينظر الدايات بعضهم الى بعض ويتهامس العلماء) .

مراد اذا كان ابراهيم قد عاد بعد فلا بأس من الاسراع بالسير ان المدد لن يتأخر (يلتفت الى صفوف الدايات) دايات .(يتقدم الدايات خطوات) أريدها حربا تعيد واقعة قسنطينة وتمسح من ذاكرة الناس تلك الهزيمة التي نكبتم بها قرب سطيف . واقتضى منكم جميعا ومن الجند الذين بأمركم .. الفرسان منهم وعسكر الرجل

.. الانتصار او الموت . وكل من يلاقيه سيفى متقهقرا يقطع رقبته فلا اختيار لكم جميعا الا بين الموت أو النصر المبين (يظهر الدايات حرجا ويتدافعون بالمناكب) .

مصطفى قارة سندرب الجند بحزم .

مـــــراد سنسير الى الحرب عاجلا .

آغه محمد اغلو ان الجند متعبون . حقا .

مـــــراد لا أقبل عذرا .. لا تعب ولا ضعف .

آغه الديـوان لكن الجزائر مازالت بعيدة .. ولا بد من قطع مراحل عديدة .

مـــــراد الم تسمع اني قلت : سنقطعها في يومين ؟ .

آغة القصبـة في يومين ؟.. هذا مستحيل .

مـــــراد كل من يتلفظ بكلمة مستحيل يلتقى مع هذا السيف ؟

حمـــــودة (يتدخل في النقاش) لكن فيم العجلة ؟ الحرب ليست رهن ايام .

مـــــراد اني اكره الانتظار . ما دمنا على اهبة الحرب فلتكن وليكن فيها موت او حياة .

محمد خوجة الفرسان قادرون على قطع المسافة في يومين .. اما جند الرجل فان خطواتهم بطيئة .

مـــــراد الم تسمع اني قلت : سنقطعها في يومين ؟(بينما ينسحب الدايات) وانتم ايها العلماء (يتقدم العلماء صفا واحدا) عليكم أن

تصاحبوا الجند وتحرضوهم على القتال باية القرآن الكريم والحديث الشريف .

عالـــم أول لكننا ... سيدي .. أهل علم لا أهل حرب .

مـــــراد والجهاد في سبيل الله ؟ .

عالـم ثـــان انها حرب ... لا جهاد .

مـــــراد حرب ؟ وما الحرب وما الجهاد ؟ .

عالـم ثـــالث الجهاد لنشر الدين وهذا قتال بين المسلمين .

مـــــراد لم اطلب منكم في العلم فلسفة .. اما الطاعة واما البالة (يتأخر العلماء وهم يتهامسون في حرج ظاهر .. يلتفت مراد الى حمودة وسعد) اجمعوا كل الناس ولتدق الطبول ولتؤخذ العدة للرحيل .. لقد آن وقت الرحيل (يشير سعد اشارة الى الخيام البعيدة فيبدأ دق الطبول ويأتي السياقة والحرس الى خيمة مراد وعليهم برانس الرحيل ويسمع صهيل الخيول) .

سعـــــد سأعد لك سيدي جوادك .

مـــــراد اذهب سعد (يبتعد سعد فيتوارى عن الانظار) الحرب .. دق الطبول ونفخ في النفير تنطلق الحناجر بالانشاد وتزحف الجحافل الى الموت . ويسجل لك التاريخ أنك قائد مغوار . اما العدل ...

الموقف الثاني عشر : يرجع سعد مسرعا من ناحية خيمة مراد .

مـــــراد اين جوادى ؟

سعد سيدي . للافاطمة وصلت مع علي .

مراد فاطمة ... لماذا أتت ؟ وهل للنساء ان يكن مع الجند ؟ .

سعد لست ادرى .

مراد ادخلها الى الخيمة وآتني بعلي . (سعد يبتعد ويصل عليّ من ناحية خيمة مراد فيومىء إلى مراد بأخذ رسالة بيده)) علي . حسين بعثك بهذه الرسالة ؟ (يومىء علي بالايجاب ايماء برأسه ويشير إلى مراد بقراءتها) سأطلع عليها حالا (يفض ختم الرسالة ويهم بفتحها فيصل حمودة مسرعا ووراءه محمد خوجة الاصفر مسرعا أيضا) .

حمودة سيدي ... الآغه ابراهيم وصل .

محمد خوجة سيدى ابراهيم .

مراد (يلتفت وبيده رسالة حسين) آه . ابراهيم وصل بعد ؟ الحمد لله .. هذه بشارة خير .. (يشير علي في الحاح بقراءة الرسالة) ماذا ؟ .. سأقرؤها .. سأقرؤها . (يصل ابراهيم بخطى ثابتة ويعود وراءه كل الدايات وتمتلى ساحة خيمة مراد بالحاشية والحرس) .

ابراهيم السلام عليكم .

مراد (يفتح ذراعيه) أهلا .. أهلا .. بأخي وصفيي (يقفز عليّ بينهما ويلح على مراد) قلت : اني سأقرأ رسالة حسين (يلقي مراد برسالة حسين بن

علي الى احد العلماء) اقرأ (يتلقف العالم الرسالة ويفتحها وقبل ان يشرع في قراءتها يلتفت ابراهيم الى الدايات ثم يخاطب مراد بينما يبدأ الدايات في تطويق المحفل) .

ابراهيم لقد اولاني مولانا السلطان من نعمه وحسن رعايته ما جعلني أحمد الله على أن حبا الاسلام بأمير للمؤمنين له ما لمولانا من خصال .

مراد (يعرض عن رسالة حسين رغم اشارات علي) والجند يا ابراهيم والجند ؟ اننا على أهبة للحرب .

فاطمة (من الخارج) اتركوني لا أريد البقاء بالخيمة ... مراد .. مراد ..

ابراهيم لقد أعطاني مولانا السلطان هذا الفرمان (يلقى به الى قاضى العسكر فيتلقفه ويشرع في فض الاختام بينما يتضايق مراد) .

مراد والجند يا ابراهيم ؟ والجند ؟ اين الجند ؟ .

فاطمة مراد .. مراد ..

ابراهيم الجند واصلون بعدي لقد سبقتهم بايام فقط .

مراد الحمد لله .. هذا ما كنت انتظر منك (يفتح ذراعيه ويتجه الى ابراهيم بينما تواصل فاطمة صراخها) عشت يا ابراهيم .

فاطمة حذار ... حذار .. حذار .. مراد .

(لكن مراد يصل الى ابراهيم ويعانقه فيطعنه ابراهيم طعنة اولى بخنجر

وحالا يدرك احد الجنود عليا وهو يستعد للقفز فيقبض عليه بذراعيه ويدخل سعد ووراءه فاطمة صارخة فيقبض عسكرى آخر على سعد ويقبض الدايات على جميع اصفياء مراد . حموده . والسهيلى . والحنفي بينما يتراجع مراد مبهوتا فتتلقاه فاطمة بذراعيها) .

ابراهيـــــم لقد عزلك مولانا السلطان وامر بقتلك لانقاذ المسلمين في هذه البلاد .

فاطمـــــة آه . (تنتحب وهي تضم مراد بين ذراعيها) كنت اعلم انه يريد القتل .. رغبت في الوصول قبله لتحذيرك منه .

مـــــراد (وكأنه لم يفهم ما وقع له) ماذا جرى ؟ السلطان ماله ؟ وتونس .؟ .

فاطمـــــة لماذا عدت بالشؤم ؟ .

ابراهيـــــم لقد كان هذا واجبا .. فاما هو واما نحن (يقفز مراد قفزة غير منتظرة ولكن ابراهيم ابقى الخنجر بيده فيتلقى به مراد ويطعنه طعنة ثانية فيخر مراد بين ذراعى فاطمة وهي تبكي بصوت عال ويلتفت ابراهيم الى الدايات وقاضي العسكر) اجمعوا الجند واقرأوا امر مولانا السلطان فقد أولانا نحن .

فاطمـــــة انتم .. من أنتم ؟ .

ابراهيـــــم نحن ؟ نحن اهل النظام والعدل .

مـــــراد العدل ؟ النظام يا غبي ؟ .. اي نظام تريد وقد ابقيت باب الخديعة مفتوحا عليك .

النهايـــة

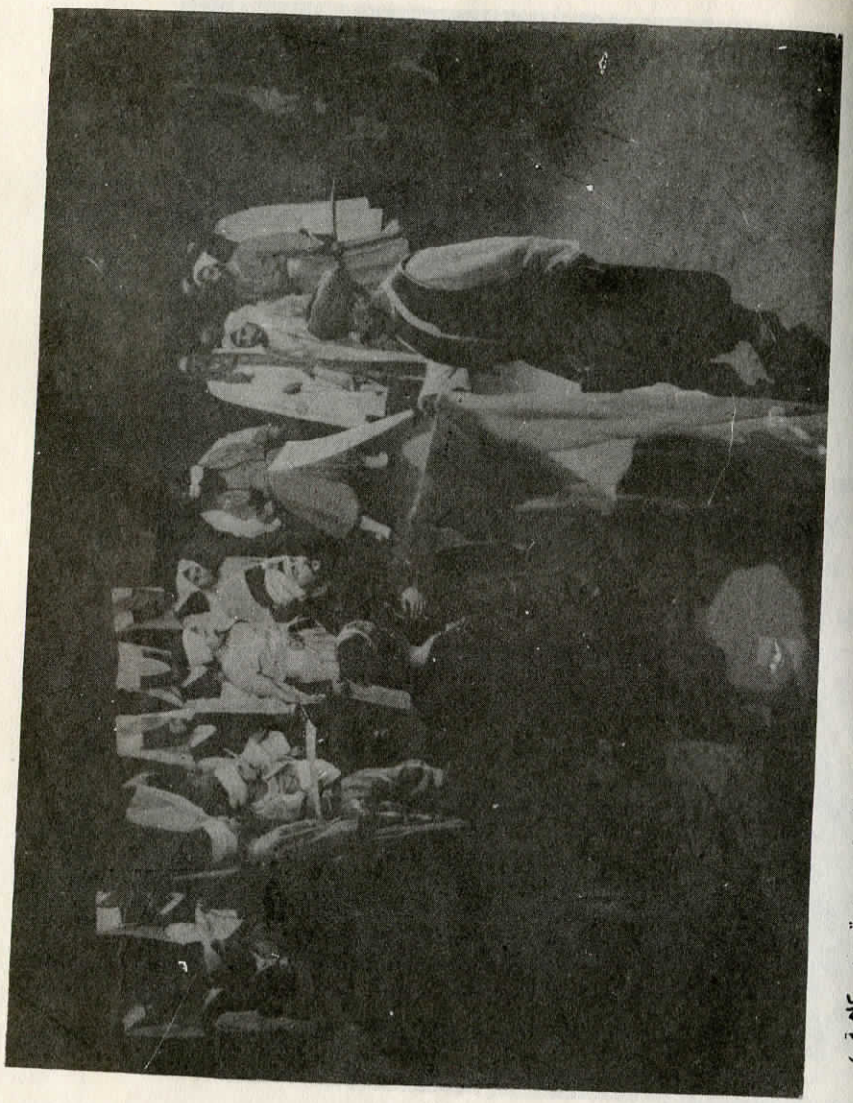

مراد : النظام يا غبي ؟ واي نظام تريد وقد تركت باب الخديعة مفتوحا عليك ؟ . (تصوير كلمية)

زبير التركي والحبيب بولعراس مع الممثلين ليلة العرض الاول

تصوير جريدة (العمل)

سحب من هذا الكتاب 8150 نسخة ـ في طبعته الثامنة

طبع بمصنع الكتاب
للشركة التونسية للتوزيع
5، شارع قرطاج ـ تونس